الصَّوتُ الأُنْثَوِيُّ
في
الشِّعْرِ السُّعُودِيِّ المُعَاصِرِ
اعتدال الذِّكْر اللّه نموذجاً

بقلم الدكتور

بديع فتح الله عبد العزيز عليوه

مدرس الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنوفية

جامعة الأزهر

والأستاذ المساعد بكلية التربية والآداب جامعة الطائف

فرع تربة

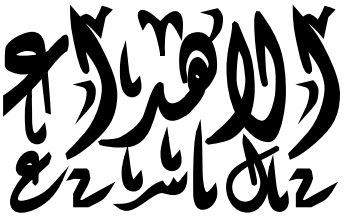

إلى روح أستاذيَّ الكريمين في الملأ الأعلى

الأستاذ الدكتور / القطب يوسف زيد

والأستاذ الدكتور / السيد مرسي أبو ذكري

رحمهما الله رحمة واسعة وأسكنهما فسيح جناته

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وهداية للحائرين ، ونشهد ألا إله إلا الله ولي المتقين ،ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المرسلين وخاتم النبيين ،وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ،وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .ثم أما بعد

فلا يزال الشعر العربي هو الساحة الغناء ،والرياض الوارفة الخضراء ،التي يلجأ إليها الشعراء بغية التعبير عن المشاعر ، والبوح بمكنون الضمائر ، فيجدون فيه الراحة للبال والمتعة للخيال ، ومرابع الجمال والكمال.

فمنذ أن عرف العربي القديم طريقه إلى الشعر لم يهجره يومًا ،ولن يسلاه أبدًا ،ولم يكن الشعر ذات يوم قصرًا على الرجال ، وإنما كان للنساء فيه نصيب ، فلم ينس التاريخ الأدبي الخنساء وليلى الأخيلية وحمدونة وولَّادة وغيرهن ممن شاركن بمواهبهن في إثراء التراث الإنساني عامة والعربي خاصة بما أضافوه إلى ديوان العرب .

ولا تزال نساء الجزيزةعلى عهدهن بأمهاتهن الشواعر ، يشاركن بفاعلية في الإضافة إلى ذلك الديوان العامر بفكرهن وإبداعهن،يناقشن قضايا المجتمع عامة وقضاياهن خاصة ،ويعبرن عن آمال وآلام الإنسانية بمعناها الكبير .

ومع التطور الكبير في القرن العشرين وما تلاه نجد المرأة الشاعرة أصبح صوتها أعلى وتواجدها في المحافل الأدبية أكثر حضورًا وحظوة كمًا وكيفًا.

ولقد أعطت المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة للمرأة حقوقاً لم تكن تخطر ببال أكثر المتفائلين ، حين أصبح للمرأة عشرون بالمئة من مقاعد مجلس الشورى تلك النسبة التي لم تبلغها أعرق الديمقراطيات في العالم .

وعلى الرغم من ذلك فإن المجتمع السعودي معروف بتقاليده الصارمة ،وعاداته الموروثة التي لا تقبل انفكاكاً ولا انفلاتاً ،وخاصة مع المرأة التي يضرب من حولها السياجات والقيود ولا يسمح لها بالظهور أو السفور .

ومع ذلك عرفت الكثيرات من النساء طريقهن إلى الإبداع الشعري ، وحطمن الكثير من القيود المضروبة عليهن ،ومن تلكم النساء شاعرتنا (اعتدال بنت موسى الذكر الله) الإحسائية صاحبة الدواويين الأربعة ،والصحفية اللامعة ،والاجتماعية النشطة،

فهي واحدة من الشاعرات اللاتي قدمن موهبتهن للعامة في ندوات ومهرجانات وصحف وفضائيات ودواوين داخل وخارج المملكة ،وبمواقع التواصل الاجتماعي ،ونالت من الشهرة الكثير،ونالت أيضًا الجوائز والتكريم.

ولكن ما لفت الأنظار إليها ودفعني إلى دراسة شعرها هو جرأتها في البوح الشعري خاصة ديوانها (واستمطرتك عشقًا)الذي تعبر فيه عن الأنثى بكل جرأة وإبداع ، فكانت فكرة تلك الدراسة هي تناول صوتًا أنثويًّا في الشعرالسعودي المعاصر وبيان قدرة ذلك الصوت على المنافسة فنيًّا مع نظيره من الشعر عند الرجال، والأهم هو التركيز على صوت الأنثى في طبيعة تناولها لموضوعات بعينها كالأم والابنة والزوجة والحبيبة وغيرها من الأصوات التي سنتناولها بالدراسة .

وتشتمل الدراسة -بعون الله – على بابين ،مسبوقين بمقدمةبها أهم أسباب اختيار البحث للدراسة والمنهج الذي تسير عليه- خصصت الأول للدراسة الموضوعية والثاني للدراسة الفنية ، ثم خاتمة بها اهم النتائج ، يتبعها قائمة بالمصادر والمراجع ،ويليها فهرس لموضوعات البحث .

واستخدمت المنهج التكاملي الذي يجمع بين العديد من المناهج وأهمها المنهج الفني الذي استوعب أغلب الدراسة .

والسؤال الذي تطرحه الدراسة هل استطاعت الشاعرة اعتدال الذكر الله أن تعبر بشعرها وإبداعها عن الأنثى بكل مراحلها ؟ وهل نجد لديها صوت الأنثى الذي لا نجده في شعر الرجل الذي يعبر عن نفسه في كل الفنون الشعرية بطلاقة وبلا قيود ؟ومن الأسئلة التي تطرحها الدراسةأيضًا : هل كانت القيود المجتمعية التي تفرض على المرأة في المجتمع ذكوري النزعة سببًا في تكبيل الإبداع عند اعتدال الذكر الله ؟،وهو ما دعاها للهروب إلى مواضيع شعرية بعينها أم أن البوح الشعري لديها تجاوز تلك القيود ،فعبرت عن الأنثى في كل مراحلها من الحب والعشق والبوح الصارخ ،أم أنها تقيدت فلم تنفك إلا بصوت الأم والأخت وما شابه؟

إنني في تلك الدراسة أجيب عن تلك الأسئلة في عدة مباحث حيث سأتناول عدة أصوات أنثوية لديها منها ما هو تقليدي لا ترفضه قيود دينية أو اجتماعية ،ومنها ما هو غير تقليدي والذي ينضم تحت البوح الشعري المنفتح ،ولذا ستكون خطة الدراسة في هذا البحث على النحو التالي :

الباب الأول الدراسة الموضوعية : ويشتمل على :

(أ) الفصل الأول: ومضات من حياة الشاعرة

(ب)- الفصل الثاني (الأصوات التقليدية)

١- صوت الأم .

٢- صوت الابنة .

٣- صوت الأنا الحزين ويشمل صوت الزوجة صوت المرأة وبه عدة سمات

- سمة الفقد
- الاغتراب النفسي
- استثمار الهم الذاتي للصعود إلى الهم القومي
- اختلاف الهوية الذاتية عن الهوية الجماعية
- التمسك بالجذور وعدم الانفصال عن الأصل

(ج)- الفصل الثالث :الأصوات غير التقليدية (البوح الشعري)

١- صوت الحبيبة .

٢- صوت الأنثى .

الباب الثاني الدراسة الفنية : ويشتمل على عدة مباحث :-

١- اللغة

٢- الثنائيات الضدية

٣- التكرار ووظيفته الشعرية

٤- التناص

٥- الصورة الشعرية.

٦- الموسيقا

ثم خاتمة بها أهم النتائج والأجوبة على الأسئلة المطروحة

ثم الفهرس ، والله أدعو أن يكون العمل خالصا لوجهه تعالى .

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل

دكتور بديع فتح الله عبد العزيز عليوه

تربة – الطائف ، في الثامن من شعبان ١٤٣٦ هـ ٢ / ٥ / ٢٠١٥ م

الباب الأول
الدراسة الموضوعية

الفصل الأول
ومضات من حياة الشاعرة

التعريف بالشاعرة [١]

هي: اعتدال موسى بن حسن محمد الذكر الله، من مواليد مدينة الأحساء بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٩٦هـ، حصلت على بكالوريوس من جامعة الملك فيصل بالأحساء قسم اللغة العربية سنة ٢٠٠٠م الموافق ١٤١٩هـ.

عملت إدارية بجامعة الملك فيصل بالهفوف لمدة عامين، ثم عملت في وزارة الشئون الاجتماعية بمركز التنمية الاجتماعية بالأحساء، وخلال ذلك عملت مراسلة صحفية لعدد من الصحف منها جريدة الشرق الأوسط اللندنية، ومحررة صحفية بجريدة "اليوم" ومراسلة لمجلة "بنت الخليج" الإماراتية بدبي، ومراسلة لمجلة الإعلام والاتصال الصادرة من وزارة والثقافة الإعلام السعودية ، وهي عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو اللجنة الاستشارية في جمعية اللسان العربي الدولية في أصفهان، وهي رئيسة لجنة الشعر النسائية في نادي الأحساء الأدبي عام ١٤٣٠-١٤٣١هـ عضو مركز الإعلاميات العربيات بالأردن ، وعضو مركز المرأة السعودية الإعلامي بالرياض .

الجوائز الأدبية التي حصلت عليها:

- [١])الترجمة مستقاة من دواووين الشاعرة المطبوعة تراتيل الروح في زمن الغربة ١٤٢٤هـ ديوان شعر فصيح.
- وأينعت الأشواق ١٤٢٧هـ ديوان شعر فصيح..أغاريد البلابل ١٤٢٨هـ ديوان شعر فصيح للأطفال ، ديوان واستمطرتك عشقًا طبع النادي الأدبي بالطائف ١٤٣٢ هـ

- حصلت على الجائزة الأولى في التأليف المسرحي من جامعة الملك فيصل عام ٢٠٠٠م

- حصلت على الجائزة الثانية على مستوى المملكة في الشعر الفصيح من نادي المنطقة الشرقية الأدبي.

- حصلت على الجائزة الثالثة في الشعر الفصيح على مستوى المملكة من نادي تبوك الأدبي.

- حصلت على الجائزة الثالثة على مستوى المملكة في أناشيد الأطفال من مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة ونادي المدينة الأدبي.

- حصلت على الجائزة الثالثة في مقال من رئاسة رعاية الشباب بالأحساء

أوائلها:

- أولُ من أنَّثَ الشعر الأحسائي الفصيح.

- أولُ شاعرة تُصدر ديوان شعر فصيح مطبوع في الأحساء عام ١٤٢٤هـ.

- أول شاعرة سعودية تُقرُّ وزارة التربية والتعليم السعودية تدريس نصوصها الشعرية في مناهج التعليم الرسمية في الدولة لمنهج التربية الأسرية للصف الثالث الإبتدائي ٢٠٠٩ م، الفصل الدراسي الأول.

- أول امرأة تقف على منصة نادي القصيم الأدبي في بريدة في أمسية شعرية بحضور مشترك بين الرجال والنساء مساء يوم الأحد الموافق ٢صفر ١٤٣١هـ.

- صاحبة ديوان شعر الأطفال الوحيد في المملكة من بين شعراء وشاعرات المملكة حتى عام ١٤٣١هـ.

- أول شاعرة سعودية تلقي قصيدة حفل افتتاح معرض الرياض الدولي للكتاب ٢٠١٠م بحضور معالي وزير الثقافة وأعضاء مجلس الشورى وجمعٌ من أدباء المملكة والوطن العربي.

- أقرت اللجنة العلمية بشعبة تطوير المناهج الدراسية في وزارة التربية والتعليم تدريسَ مختارات من قصائد ديوانها الثالث لطالبات وطلاب المرحلة الثالثة الابتدائية بمدارس المملكة.

- دُرس ديوانها الثالث، أغاريد البلابل، ومسرحية شعرية للأطفال، سوسن والبستان في أطروحة ماجستير من جامعة الملك سعود بالرياض.

- دُرست بعض من نصوص ديوانها الثاني (وأينعت الأشواق) لطلاب قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة أصفهان الإيرانية من أستاذ الأدب العربي المساعد الدكتورة نرجس كنجي.

- أُنشدت أشعارها في في قنات "hade tv" اللبنانية "فيديوكليب كرتوني للأطفال".

- تناول نقاد سعوديون وأكاديميون عرب نتاجها الشعري بدراسات نقدية منشورة في صحف ومجلات محلية وعربية وقراءات منبرية في نوادي أدبية.

- تم اختيارها ضمن أفضل أربعين شاعرة من ٧٠٠ شاعر عالمي في مسابقة أمير الشعراء في موسمه الرابع / هيئة أبو ظبي للتراث والثقافة ٠٠ الإمارات.

إصداراتها:

- تراتيل الروح في زمن الغربة ١٤٢٤هـ ديوان شعر فصيح.
- وأينعت الأشواق ١٤٢٧هـ ديوان شعر فصيح..
- أغاريد البلابل ١٤٢٨هـ ديوان شعر فصيح للأطفال.
- مسرحية شعرية غنائية للأطفال بعنوان "سوسن" ١٤٢٩هـ مجازة إعلاميا وتحت الطبع.
- واستمطرتك عشقًا طبع النادي الادبي بالطائف ١٤٣٢هـ
- "احتراق في بوتقة العشق" ديوان شعر فصيح مخطوط.
- نص مسرحي بعنوان : الصحوة مخطوط.
- دراسات نقدية لمجموعات شعرية نشرت في صحيفة الحياة اللندنية والمدينة السعودية والجزيرة الثقافية السعودية مع صحيفة اليوم.
- شاركت بأمسيات شعرية ومؤتمرات محلية ودولية آخرها في جامعة أصفهان بإيران وفي ملتقى حصة العوضي الثقافي بدولة قطر وفي الأيام الثقافية السعودية في اليمن برفقة وزارة الثقافة والإعلام السعودية ، ونادي القصيم والباحة والمدينة الأدبي ورواق بكة الثقافي النسائي في مكة المكرمة.

الصحف التي عملت بها محررة ومُراسلة ميدانية:

- **صحيفة اليوم السعودية من عام ١٤١٩-١٤٢٧هـ.**
- **صحيفة الشرق الأوسط اللندنية من ١٤٢٧-١٤٣٠هـ.**
- **صحيفة دنيا النسائية.**
- **مجلة بنت الخليج الإماراتية.**
- **مجلة السياحة والبيئة.**
- **مجلة الإعلام والاتصال الصادرة من وزارة الثقافة والإعلام السعودية.**
- **مجلة "شؤون اجتماعية" الصادرة من وزارة الشؤون الاجتماعية.**
- **مجلة الأحساء الصادرة من الغرفة التجارية الصناعية في الأحساء.**

أبرز مشاركاتها الشعرية:

المهرجان الوطني للتراث والثقافة "الجنادرية" بالرياض ٢٠٠٢م.

الأسبوع الثقافي السعودي في اليمن "صنعاء – حضرموت – عدن " بدعوة من وزارة الثقافة والإعلام السعودية ٢٠٠٩م.

نادي الباحة الأدبي ٢٠٠٩م .

نادي القصيم الأدبي ببريدة ٢٠٠٨م.

– نادي المدينة المنورة الأدبي ٢٠٠٨م.

– نادي جازان الأدبي٢٠١٠م.

– نادي الطائف الأدبي الثقافي ٢٠١١م.

– نادي نجران الأدبي ٢٠١١م.

- مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة .
- رواق بكة الثقافي النسائي بمكة المكرمة ٢٠٠٧م.
- صالون الأديبة حصة العوضي الثقافي في الدوحة / قطر ٢٠٠٧م.
- جامعة أصفهان الإيرانية /قسم اللغة العربية/ كلية الآداب ٢٠٠٧م.
- جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا / اليمن ٢٠٠٩م.
- مهرجان الثريا للشعر العالمي في أربد الأردن ٢٠١٠م.
- مهرجان المتنبي للشعر العالمي العاشر زيورخ / سويسرا ٢٠١٠م
- مسابقة أمير الشعراء الموسم الرابع ٢٠١٠م / أبو ظبي.
- مهرجان البحراوية للإبداع النسوي الرابع في السودان ٢٠٠٤م.

الفصل الثاني
(الأصوات التقليدية)

١. صوت الأم

ما من شك في أن الدور المهم للمرأة هو تربية الرجال ،فإن كانت المرأة خلقت من ضلع الرجل ،فما من رجل إلا وخرج من رحم امرأة ،ثم عملت على تربيته ،وما من عظيم إلا وله أمٌّ قامت على رعايته وسهرت على تربيته وأحسنت تعليمه وتأديبه ،وفي أدبنا العربي نجد الأم الشاعرة موجود لعظمتها وقامتها، فهي مصنع الرجال، وبانية الأمم.

وتبدأ رحلة الأم الشاعرة مع أبنائها منذ أيامهم الأولى فيما يُعْرَفُ بشعر الأطفال حديثًا وبشعر الترقيص قديما (١) ولدينا من الشاعرات القدامى من لهن من ذلك الترقيص نصيب، وقد كان العرب يعبرون عن أغاني المهد والطفولة بهذا المصطلح، ويستوي في ذلك الشعر والنثر والذي –غالبا– ما يكون مسجوعًا بحيث يشبه الشعر والزجل، وقد ذكر ابن بنين في كتابه "اتفاق المعاني" كتابًا لأبي بكر الصولي يحمل هذا الاسم أي الترقيص ونقل عنه قوله:

(إنه ما من امرأة من نساء العرب إلا كانت ترقص ابنها وابنتها بشيء من الشعر ،وذلك في معرض حديثه عن فصيحات العرب.

ومن ذلك ما قالته أم الفضل بنت الحارث الهلالية وهي ترقص ابنها العباس :–

ثكلت نفسي وثكلت بِكْرِي إنْ لم يَسُدْ فهرا وغير فهر

---

[١] ديوان تراتيل الروح في زمن الغربة ٧٣ اعتدال الذكر الله

بالحسب العد وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر

والمعنى عدمت نفسي وعدمت ولدي البكر إن لم يصبح سيدًا لقبيلة فهر وغيرها من القبائل بحسبه وكرمه إلى أن يوارى في الثرى.

ولا تزال الأم أماً في كل زمان وأي مكان فشاعرتنا "اعتدال الذكر الله" العربية اللسان والجنان تنسج على منوال الجدات وتريد أن ترى ابنتها (حوراء) في أعلى مكانة وأرفع غاية فتراقصها وتقول :-

حوراءُ غَنِّي بألحانِ المُنَى للوالِدِ الغَالِي ولِلأمِ الهَنَا

حبيبتي الصُغرى هَلُمِّي للعُلَا للمجدِ تُوقِي ثُمَّ سِيرِي للسَنَا (١)

وتراقصها مرة ثانية وتقول:

تدلّلي تدلّلي يامنيتي يا أملي

وراقصي أحلامنا كمثل غصن أهدل

وعطري أنفاسنا بفوح ورد خجل

تألّقي جميلتي وأشرقي بالأمل

---

[١] ديوان تراتيل الروح في زمن الغربة ٧٣ اعتدال الذكر الله

وأقبلـــــــــي شـــــــهية كطعـــــم حلـــــو العســـــل (١)

تخاطب وتراقص ابنتها الصغيرة وتقول لها تدللي وزيدي في دلالك فأنت كل المنى والأمل وراقصي الأحلام كالغصن الأهدل وعطري الأنفاس براحتك الزكية، ودعيني أقبلك فأذوق منك طعم العسل الحلو الشهي.

حتى وحواء في مهدها لم تتكلم بعد ، وإنما هي أصوات المناغاة البسيطة الرقيقة التي تملأ قلب الأم سعادة وفرحة، ولا تكتفي الأم من طلب المناغاة التي تحرك أوتار قلبها وتبعث السرور والنشوة في جنبات حياتها تقول فتسألها المزيد .. تقول:

حـــوراء نـاغـي لا تـكفي إنـني عطشي ولن أروى فهل ناغيتني

نـاغي ونـــاغي يا حيـــاتي حلوة مَغْنَاكِ يا صغرى أرى لم يكفني

ألحـان دهرى مثـل نجواك الجلي أرجوكِ يـا حـــوراء غنيِّ لحنِّي

أوتـار قـلبي راقصـــت وجـدانـيا واهتز صدري واستكانت أركني

"نونو" على مهل أنادي فاســمعي هيّا إلى قلبي تعالي واسكني (٢)

---

[١] ديوان أينعت الأشواق ص ١٣

[٢] ترتيل الروح في زمن الغربة ص ٦٣

ولك أن تستشعر هذا التوق من الأم لسماع ابنتها التي لا تزال كَمَا وصفَتْهَا "تونو" وذلك الصوت البسيط كهديل الحمائم وزقزقات العصافير وتغريد البلابل في أذن الأم التي تلح في طلبه من ابنتها حتى تمتلئ جوانب حياتها بالسعادة والهناوة التي تراقص أوتار القلب والوجدان فيهتز الصدر سعادة وانتشاءً.

إن الدواوين الأربعة التي بين يدي لا تخلو من هذا اللون من الشعر الذي يحمل صوت الأم المحبة لأبنائها الشغوفة بهم والحريصة عليهم، إنَّ الشاعرة جعلت من ديوانها "أغاريد البلابل" والصادر سنة ٢٠٠٧م ١٤٢٨ هـ ساحة شعرية للأطفال تغنت لهم بصوتها الذي يجمع بين الأنثى والأم، وتغنت لهم على لسانهم وكأن النتاج منهم ولهم، فهي أهازيج وأراجيز للأطفال كما نعتت الديوان.

وفي ديوانها " وأينعت الأشواق" عدد كبير من القصائد التي كتبت للأطفال على لسان الأم أو الخالة، وكذلك في ديوانها "تراتيل الروح في زمن الغربة" نجدها تهتم كثيرا بصوت الأم وتفرد العديد من القصائد لهذا الصوت.

وهنا نلحظ أن الشاعرة لديها شغف كبير بشعر الأطفال خاصة في مراحلها الأولى في النتاج الأدبي تبعًا لتسلسل صدور الدواويين أو لإبداع القصيد ،خاصة وأن الشاعرة قد أرَّخَتْ لأغلب قصائدها ،وأرى أن سبب ذلك راجع إلى تلك القيود التي يفرضها المجتمع "ذكوري النزعة" فليست المرأة –في الغالب– لها تلك الحرية في الإبداع والبوح، والذي يجعلها تذهب بموهبتها إلى تلك الساحة التي يرتضيها المجتمع وتتقبلها عاداته وتقاليده ،مما يجعلها محاصرة

في عدد قليل من أغراض الشعر وموضوعاته ،وقد اتبعت شاعرتنا ذلك الدرب وسارت عليه، ثم ما لبثت أن انفكت من قيوده وتمردت على تقاليده في ديوانها الأخير "واستمطرتك عشقا" ذلك الديوان الذي يحمل البوح الشعري الأنثوي المتمرد على القيود الرافض للانغلاق ،وهذا ما سوف نعرض له في صفحات هذا البحث إن شاء الله.

وعود إلى صوت الأم وهي تخاطب طفلتها وتقول:

يـا طفـلتي هيَّـا بنـا نحـيا الحيـاة الهـانيـه

نلـهو بحـب مفـعم فيـه الأمـاني اللاهيـه

تحلـو الحيـاة هـا هنـا تحـت الغصـون الحانية (١)

تناديها وهي وسط الغصون الحانية أن تلهو معها وتلعب ،فما أجمل اللعب مع الأبناء ،حين نعود نحن الكبار إلى الطفولة الهانئة.

ونراها تخاطب ابنها بحديث رائق تغرس فيه من خلاله النص الشعري – المبادئ والقيم النبيلة والأخلاق الحسنة الكريمة ... تقول:

جميـلُ الخلـقِ يـا طفلـي مثـالُ الطهـرِ والنُبْـلِ

تُحِـبُّ الصـدْقَ في القـولِ تنـاجِي الـرَّبّ في الليـلِ

---

[١] أغاريد البلابل ص ٦

إذا مـــا غـــابَ أصـــحابٌ تتـــوقُ لســـاعةِ الوصْـــلِ

تبـــادِلُهم شَـــذَا عِطْـــرٍ كمثـــلِ الـــوردِ والفُـــلِّ

حمـــاكَ اللهُ يـــا طِفْلِـــي وعشْـــتَ العمـــرَ في أمـــلِ (١)

إنها تؤكد على معان مهمة أولها جمال الخلق والطهر والنبل، وفي نعتها له بهذه الأوصاف هو تأكيد على إرادتها في غرس تلك الصفات، ثم تعرج على الصدق في القول، فالصدق واحد من أهم أخلاقيات المسلم فلا يكون كذوبا، ثم تذكر علاقته الطيبة مع ربِّه حيث يناجيه ليلًا، ثم تذهب إلى صفة الوفاء للأصحاب والاشتياق إليهم إذا ما غابوا، ثم لا تنسى أن تختم مقطوعتها بالدعاء لابنها أن يحميه الله ويحفظه، وأن يعيش عمره في أمل ونجاحات.

وعلى المنوال تنسج لـ "حوراء" ابنتها وتذكر تقبلها للعلوم وتحصيلها الممتاز لما تدرسه وتتعلمه، وتشجعها على المضي قدما في تحصيل العلم النافع، وتلاوة القرآن الكريم ، وحب الوطن، وبِرِّ الوالدين، وكلها معانٍ تغرسها الأم في ابنتها آملة أن تحقق ما تصبو إليه وتصل إلى ما تتمناه تقول:

بنـــتُ ذِكـــرِ اللهِ حُـــورَا تعشـــقُ العلـــمَ المُفيـــدَا

تحفـــظُ الأشـــعارَ غَيبَـــا ثُـــمَّ تتلوهَـــا نشـــيدا

في ديـــاجي الليـــلِ دَومَـــا تقـــرأُ الـــذِّكْرَ المَجِيَـــدا

---

١ أغاريد البلابل ص ١٩

وَتُنَـــــادِي اللهَ ربِّـــــي وطـــــني احفظـــه ســـعيدا

وامـــــنحِ اللـــــهم أمـــــي وأبـــــي عمـــــرا مديـــــدا

واســـــتجب ربـــــي دعـــــائي واعطـــني الـــرأي الســـديدا (١)

ولها مثله أيضا على ذات الوزن والقافية قولها :

أيهـــــا الطفـــــل تبســـــم وامـــــلأ الـــــدنيا نشـــــيدا

هـــــذه الـــــدنيا تَغَنَّـــــتْ واكتســـــتْ ثوبَـــــا جديـــــدا

لشـــــروقِ الـــــروضِ جئنـــــا نطلـــــبُ العلـــــمَ المُفيـــــدا

أيهـــــا الطفـــــلُ توضـــــأ واقـــــرأ الـــــذكر المجيـــــدا

ـ ذكـــــــرا حـــــــورا رددت هـــــذا النشـــــيدا(٢)

وفي الحديث الشريف "الخالة الوالدة"([1]) حقا نرى شاعرتنا وهي خالة للطفل (على فهمى الخطام)ترتدي ثوب الأمومة وتصفه بقصيدة لحاملة .. تقول في أولها :

---

[1] أغاريد البلابل ص ٢١ ولها مثل ذلك في تراتيل الروح ص ٢٣ أولها :

يا مهجة الروح يا نور المقل ** يا فرحة العمر يا نبع الأمل

[2] أغاريد البلابل ص ٣١

يـا عليُّ غنـوة فيها نشـيدي أنت لحن الحب في دنيا الوجود

يا جميل الثغر يا حلو المعاني يا جميل الروض يا زهر الورود

يا علي الحسن يـا رَجْوَى القلوب يا نديم الروح في ليلي العميد

أنت بـدر الدجـى يـا خيـر طفل أجملُ الأطفال يا نجم السعود

وفيها :

مـا أحيـلاه عليـا في صلاتي يعتليني في ركوعي وسـجودي

يتهـادى فـي دلال قـد سـباني بسـمات الثـغر طـابت للـوليد

دمـت نجـما فـي حياتـي يا عليّ يا حبيب الروح يا طفلي الـودود

يا إله الكون فـاحفظ طفلنـا مـن كل مكروه ومن عـين الحسـود (٢)

---

[١]) أخرجه أحمد في مسنده٢/١٦١ ح ٧٧٠ بإسنادضعيف وله لفظ في الصحيح الخالة بمنزلة الأم أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان ٢/١٧٧، ١٧٨ح٢٦٩٩ وفي كتاب المغازي باب عمرة القضاء ٧٩/ ٣ح٤٢٥١

[٢] وأينعت الأشواق ص ١٢

والقصيدة كما ترى وصفية تصف فيها جمال عليّ الخَلقي، حيث بجماله وبهائه أدخل السعادة إلى قلوب العائلة كلها وخاصة خالته، حيث يعتليها في ركوعها وسجودها وهي في نشوة وسعادة ، ولا تنسى في نهاية القصيدة أن تدعو الله له أن يحفظه من كل مكروه ومن عيون الحاسدين.

والقصيدة على نفس النهج المعتدل الذي تتبعه (اعتدال) في ذكرى جمال الطفل وحسنه والسعادة التي أوجدها بوجوده، والأمنيات له بالحياة الهانئة والتحصيل العملي والدعاء له بدوام السعادة وأن يحفظه الله في كنفه ويرعاه برعايته.

وهكذا تشير اعتدال باعتدال في هذا الصوت الذي يأخذ الكم الأكبر من شعرها خاصة في بداياتها الشعرية، وهو صوت متنوع ما بين الحب الجم لأطفالها والسعادة الغامرة التي ملئت حياتها بوجودهم، والأمل القادم في غدهم بأن يصبحوا شيئا ذا قيمة في المجتمع، ثم هذه الأمنيات المستشرفة لغد مليء بالهناء والسعادة، واستشراف مستقبل زاهر، ثم الدعاء لهم بالحفظ والرعاية من رب العالمين.

وصوت الأم هو الانعكاس الأنثوي الراسخ في أعماق الأنثى، الناطق بأنوثتها وحنانها في كل مراحل حياة الأبناء.

وبنظرة سريعة في دواوين الشاعرة نجد هذا الصوت مدوياً في جنباتها ناطقاً بأمومة ساطعة وأنوثة ظاهرة.

(٢)- "تَمَثُّل صوت الابنة"

إن اعتدال في دواوينها الثلاث الأولى تهتم أيما اهتمام بالطفولة والنشىء ، وتتحدث بصوت المربية والأم، فتعطي لأبنائها من خبرات حياتها وتقدم لهم النصيحة وتبذل لهم الوعظ وترشدهم إلى ما تراه من الخير والرشاد ، ثم لا تلبس أن تناقش بعض قضايا الطفولة، وذلك من خلال تمثلها لصوت الإبنة فتكتب الشعر على لسان ابنتها فتحكي فيها بعضا من اهتماماتها، فحين تفرح تود أن يشاركها الكون في فرحتها وسعادتها،وحين تحزن تبحث عن تلك الصدور الحانية الدافئة لتزيل عنها بلمسة من حنان تلك الأحزان والهموم.

إن تمثل شاعرتنا لصوت الابنة الطفلة يعد محمودا إلى حد بعيد فحين تشاركها اهتمامتها وقضاياها الصغيرة، ثم تكتب على لسانها لا يمكن أن يكون سهلا ميسورا ، فإنَّ ذلك يحتاج إلى دراسة لنفسية الطفلة ولتفكيرها حتى يصبح الحديث صادقا مقبولا.

ومن هنا نجدها حين تلعب ذاك الدور ترى نفسها فتاة رائعة، محبة للعلم النافع، تهوى القراءة والاطلاغ، وتتخذ منهما منهجا تسمو به إلى النجاح وتتقدم به إلى الفلاح، فالعلم هو القادر على تحقق الغايات ونيل الأمنيات

تقول اعتدال:

إنِّـــي فتـــاة رائعـــة أهـــوى العلـــوم النافعـــه

تبقـــى القـــراءة منهجـــي فيهـــا الـــدروس الجامعـــه

أسمـــو بعلـــم نـــافع ... مـــا دمـــت نبتـــا يافعـــه

حيـــث النجـــاح المرتجـــى ... أجـــني الثمـــار اليانعـــه

بـــالعلم أبـــني غـــابتي ... نحـــو الشـــباب اللامعـــه

غنيـــت علمـــي مثلمـــا ... غنـــت طيـــور ســـاجعه (١)

وحين تغني الشعر في مدرستها تفرح معلمتها وتدعو لها بالتفوق وتطلب إلى زميلاتها أن يصفقوا لها فيمتلئ قلبها سعادة وفرحاً ثم تذهب إلى البيت مسرعة لتخبر أباها بما كان في المدرسة.. وتقول

أغـــني الشـــعرَ يـــا أبـــتِ ... تعـــالَ أسمعهـــا أغنـــيتي

لأِطْـــرِبَ قلبـــكَ الحـــاني ... بلحـــن فيـــه أمنـــيتي

تفضـــل واســـتمع لحـــني ... بشـــعر فيـــه تســـليتي

فـــإن الشـــعر علمـــني ... جميـــل القـــول في لغـــتي

رفـــاقي صـــفقوا فرحـــا ... وتكريمـــا لمـــوهبتي

بصـــداح الفنـــون غـــدت ... تنـــاديني معلمـــتي

---

١ أغاريد البلابل ص ٧

وتـــدعو لـــي بتوفيـــق يـزين العمـر يـا أبـت (١)

وها هي تبعث بالخير إلى أمها في صباح مشرق جميل،حين تلقي تحية الصباح مستشرفة آمال النجاح والفلاح، مستبشرة بقدوم شمس يوم جديد تشرق معه الأمنيات الرائعة مستفتحة يومها بالدعاء لله أن يبارك في صباحها ومسائها.

تقول:

صـــباحُ الخـــيرِ يـــا أُمِّـــي صـــباحُ طَـــابَ بـــالنَّجح

صـــباحٌ مشـــرقٌ غَنَّـــى بلحـــنِ الحـــبِّ والصَّـــفْحِ

نجـــومُ الليـــلِ قـــدْ أفَلَـــتْ وطَـــلَّ النُّـــورُ في السَّـــفْحِ

فهـــذي شمسُـــنا طلعـــتْ بيـــومٍ مشـــرقٍ سَـــمْحِ

وزهـــرُ الـــروضِ قـــدْ لَبّـــى نـــداءً صـــارَ مِـــنْ فَرْحِـــي

جمـــالُ الصُّـــبْحِ في عَملـــي وفي جَـــدِّي وفي كَـــدْحِي

فبـــاركْ يـــا إلـــهِ في مســـاءٍ لِـــي وفي صُـــبْحِ(١)

---

١ أغاريد البلابل ص ٢٥

وبنفس المحبة تلقي تحية الصباح على أبيها وتقول:

صـــباحُ السَّـــعدِ يـــا أبَـــتِ صَـــباحُ الخـــيرِ والنِّعْمَـــهْ

حنانُـــك دائمـــا يَسْـــرِي برُوحِـــي مثلَمَـــا نســـمه

وحبُّـــك في الفـــؤادِ نَمَـــا ونـــورُك في السَّـــما نَجْمَـــه

إذا مـــا صـــرتُ في تَعَـــبٍ تُنَجِّينِـــي مِـــنَ الغُمَّـــهْ

فيَـــا رَبِّـــي أدِمْ أبَـــتِ يُـــنِيرُ الـــدَّرْبَ في العَتْمَـــه (٢)

ونراها تتخذ من التناص طريقا لوصف الديك ومهامه، فكما وصف شوقي الديك في قصيدة (الثعلب والديك) والتي أولها :

برز الثعلب يوما في ثياب الواعظينا

ومشى في الأرض يهدي ويسب الماكرينا(٣)

ومنها في وصف الديك :

---

[١] أغاريد البلابل ص ٥٤

[٢] ديوان الشوقيات ٦٧٠ دار صفا للنشر والتوزيع ط الأولى ٢٠٠٩م

[٣] أغاريد البلابل ١٣ ولها قصيدة مشابهة بعنوان صلاة الديك في محراب الفجر ص ٢١ ديوان وأينعت الأشواق .

وابعثـــوا الـــديكَ يُـــؤذنُ لصـــلاةِ الصُّـــبحِ فِينَـــا

نراها تقول في وصف ديكها :

عنـــدنا ديـــكٌ جميـــلُ ولَـــهُ ذَيْـــلٌ طَويـــلُ

يُـــوقِظُ النّـــومَ فجـــرًا بصـــــياحٍ ويُطيـــــلُ

قـــــائلاً اللهُ أكـــــبرُ لَـــيْسَ للـــرَّبِّ بَـــدِيلُ

فـــأفيقوا يـــا نِيَـــام في التقـــى يَحْلُـــو السَّـــبيل

لِجِنَـــانِ اللهِ قُومُـــوا ثُـــمَّ صَـــلُّوا لا تميلـــوا

إن ربِّـــي ســـوف يَعفُـــو إنَّـــــه رَب جَليـــــلُ

يغفـــرُ الزَّلَّـــاتِ دومًـــا فضـــله فضـــل جزيـــل (١)

ولها تناص آخر مع النشيد الوطني المصري حيث تقول:

يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي أنـــت يـــا نـــبض الفـــؤاد

فيـــك أحلـــى ذكريـــاتي فيـــك حققـــتُ مـــرادي

وعلـــى أرضـــك عاشـــوا رســـل خـــير العبـــاد

---

[١] أغاريد البلابل ص ١١

لا تلمـــــني في هواهـــــا إنهـــــا دارُ الجهـــــاد

وفي أنشودة رائعة تطلب من أمِّها أن تدعَّها تُقَبِّل جبينها وتلثم كفيها، فكم تحبها وتحب صلاتها وخشوعها لله رب العالمين ،وتؤكد في استفهام تقريري أن رضاها من رضا الله، فإنها وصية رب السماء، ثم تدعو لها بالسلامة وطول العمر فرؤيتها تبعث الأمنيات وتذهب العذابات....تقول:

دعـيني أقبـل جبينـك أمـي وألـثم كفَّـا سماهـا عطـاءْ

أحبـك أمـي أحـب رضـاكِ أحـب صـلاة لـك في بكـاءْ

تنـاجين ربـاً عظيمـا كريمـا وحتمـاً يجيبـك وقـت الـدعاء

ألـيس رضـاه رضـاك أمـي وأنـت وصـية رب السـماء

سـلمتِ وعشـتِ ودمـتِ منـارًا يضـيءُ القلـوبَ بِفَـيْضِ الصـفاء

أرك فتسـموا بـي الأمنيـات ويرحل عني عـذاب الشقاء (١)

ففي كل تلك النماذج السابقة تمثلت اعتدال صوت البنت فخاطبت أمها وأباها، وحكت بعضا من قضاياها الصغيرة ، وكانت صادقة المشاعر والحديث،

---

[١] أغاريد البلابل ص ٢٢

واتخذت من البحور ذات التفعيلة الواحدة –المشطور منها خاصة – سبيلا في توصيل ما تريد إلى من تريد.

ونلحظ في التزامها بمعيارية القصيدة العمودية– مع قدرتها على الإتيان بشعر التفعيلة والمرسل – هو قبول للتحدي في زمن يهرب فيه الكثيرون من القصيدة الخليلية بغية السهولة أو مواكبة التيارات الشعرية الحديثة، فاتخذت من هذا اللون عنوانا يدلك على أصالتها ومدى تجذّر ارتباطها بالثقافة العربية، ورفض التفكيكية التي باتت تطال كل ما في عصرنا الحاضر، فهي – ترى كما نرى معها – أننا لو رضينا بتفكيك حجر واحد من تراثنا اليوم سيأتي وقت وينهال البناء كله فوق رؤوسنا ،ذلك لأن الأمر لديها مبدأ تسير به، ولذا وجدنا هذه الأشعار المنتجة للأطفال بشكلها العمودي قد اختير عدد منها لتكون ضمن كتب يدرج اسمها في مناهج لتربية الأجيال القادمة.

(٣)صوت الأنا الحزين

لعل هذا الصوت من أعلى الأصوات في شعر اعتدال ، لاسيما وهي تتحدث عن نفسها التي تحمل الكثير من الهموم والآلام المتوَّجة بالكثير من الحزن ، وينبع هذا الصوت الأنثوي الخالص من عدة مستويات دلالية ذات بواعث نفسية ، فمن يقرأ أشعارها سيقف –بلا شك – على عدة سمات نفسية واجتماعية توليها الشاعرة عناية خاصة ،ولعل من أهم تلك السمات والبواعث لهذا الصوت إجمالا :

١- سمة الفقد ٢- الاغتراب النفسي ٣- استثمار الهم الذاتي للصعود للهم القومي ٤- اختلاف الهوية الذاتية عن الهوية الجماعية

٤- التمسك بالجذور والوعي بعدم الانفصال عن الأصل.

(١) سمة الفقد:

تلك السمة الغالبة على شعر اعتدال والتي يبلورها لجوء الشاعرة إلى الذكرى وتباهي معاني الشوق والتوق، ففقد المرأة لاكتمالها بالمجتمع وخاصة الرجل حيث الذات الشاعرة هي البطلة لمعظم أشعارها، وحيث الانفصال والتباعد والشوق للقاء هو الهم المتباهى بكثير من القصائد ،ولعلها سمة تبرز الخصوصية الأنثوية في الكتابة الإبداعية ،حيث تتباين ردود الأفعال المترتبة على هذا الفقد بتباين تقلبات أدوار هذه الذات عبر أحداث القصائد وإن تشابهت كثيرًا بالطبع لأنها تصدر عن مزاج وتشكيل أنثوي واحد هو الذات الشاعرة نفسها (الأنا الحزين) فهي تضفي على القصائد من دون وعي في أثناء الكتابة خصائصها النسوية وصوتها الأنثوي.

وتعلن الشاعرة عن نفسها في افتتاحية ديوانها (تراتيل الروح في زمن الغربية) وتظهر هويتها حين تقول في تناص فني رائع مع المتنبي :

الهم والحزن والآهات تعرفني	والضيق والعسر والأنات والألم
أُسائل الليل هل يصفي لمظلمتي	أهل يعود زمان كله نِعَمُ(١)
قد ضاق صدري بأناتي وحرقتها	فأيقظت زفراتي من به صَمَم
أنا التي نظم أهاتي الكلم	وأنطقت حسراتي من به بَكَمُ

---

١ تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٩

تتحسر على حاضرها القبيح الذي لا يحمل معه إلا الهم والحزن والضيق والعسر والآهات والأنات والألم والزفرات ،إنها أمواج متلاطمة من الهموم تتابع عليها وتضربها واحدة تلو الأخرى حتى أنها لا تجد خلاصًا ولا انعتاقًا من حبائله، فشكايتها أسمعت الأصم فأيقظته من نومه ،وحسراتها أنطقت من كان أبكما ،فيا له من واقع وحاضر مرير ،لذا تتسائل هل هناك من يستمع إلى شكواها ويصغي لمظلمتها ؟فيرق لحالها ويرفع عنها هذه البلايا ويعود بها إلى زمان كله نعم وأفراح وسعادة .

إنه (الفقد) السمة التي غلبت على أشعارها فتبدو –بلا ريب – صارخة في جنبات إبداعها ، ففقدها لمن تحب ألهب الحزن في قلبها ،وأشعل نيران الشوق في روحها، فراحت تعاني لوعة الآلام ،وتكابد مرارة الحسرات ،حتى أنها تدعو صاحبها للوقوف لسماع شكايتها ،وما اعترى قلبها من آلام شاب منها الرأس، وعُمِيَتْ العينان، وذبل الجسد ،وتدعو الزمان ألا يُعَادِهَا فيكفي ما بها من عذابات بلا جرم ولا ذنب ،فلم تعد تملك إلا الدعاء لرب الكون أن يقويها على ما تحمله من هموم ... تقول :

قفا عندي ايا صحبي ... لأشكو ما اعترى قلبي

همومٌ قد اصابتني ... فشاخَ الرأسُ بالشيبِ

عيوني لم تَعُدْ تبصر ... كأنِّي لا أرَى دَربِي

فلم أعلمْ بما يجرِى ... بدنيايَ وفي جَنْبِي

غَـــدَا حَـــالي كمـــن يهـــوى كحـــــالِ الوَالِـــــهِ الصَّـــــبِّ

وقـــــد جفـــــتْ أزاهـــــيري ومـــــا في غصـــــنها الرطـــــب

زمـــــــاني لا تُعَـــــــادِيني فـــــلا تُـــــؤذِي ولا تُســـــبي

أمـــــا يكفـــــي عـــــذاباتي بـــــلا جـــــرمٍ ولا ذنـــــبِ

أمـــــا مِـــــنْ مُخـــــبرٍ عَنِّـــــي وعَـــــن أوجـــــاعِي هـــــل يُنْبِـــــي

ولكـــــن قَـــــوِّنِي رَبِّـــــي وتَقْـــــوَى خَـــــالِقِي حَسْـــــبِي (١)

إن البَشَرَ يتمنون بقاء الشباب ودوامه ،وإذا فاتهم تمنوا رجوعه وعودته أما اعتدال فيبلغ الأمر بها مداه حتى تتمنى أن تتخطى مرحلة الشاب – على الرغم من جمال المرحلة وتألقها – وتصل سريعا إلى المشيب فلعل فيه الخلاص من الألم والهم ،فقد أصبحت حياتها عبئا ثقيلا وكأنها تريد الخلاص من الحياة كلها ... تقول:

شـــبابي لا أرى فيـــه ســـرورا بشـــيبي ربمـــا تزهـــو مُنايـــا

فتحلـــو عنـــدها أيـــام دهـــري وتحلـــو عنـــدها كـــل المنايـــا

[١] تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٢٧

هنيئا لي بشيبي لا شبابي ويا أهلاً فخذ مني صبايا

فيا شَيْبِي متى تغزو لشَعْري فسارع بي وخذ مني هوايا (١)

ويبلغ الأمر مداه ويبلغ السيل الربى ،فلا تجد غير الموت خلاصا من مكابدة الألم ،فبات الموت هو الملاذ الأخير والحل الأمثل ،فلا أمل في شفاء القلب من ألمه وجرحه ،ولا أمل في أن يصفو الدهر يومًا ،ولا أمل أن تفارقها الهموم ،فقد امتلكها اليأس ،وسئمت غدر الزمان ،لذا فإنها تدعو أن ينقضي عمرها فهي لم ولن تنسى من غدر بها وتركها مع الهم في رباط ... تقول:

فيا قلبي متى تُشْفَى؟ فجُرحِي قد بدا يَسْرِي

ويا دَهري متى تَصْفُو فقد حَيّرت لِي أمْرِي

أأمِّلُ لو عَفَى همي فكم ضاقت به صدري

سئمت زماني الغادر وأدعو لو قضى أمري

فهل نسى جروحا قد تغالبني على أمري

فلا أنسى ولن أنسى لمن يسعى إلى غدري (١)

---

[١] تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٤١

إنه التعمق في الألم والشكوى حتى الوصول على استعذاب الألم واستطابة الشكوى إن (تراتيل الروح في زمن الغربة) هو سيمفونية حزينة باكية شاكية تترنم فيه الشاعرة بآلامها وتغني شكواها وتعزف على أوتار الحزن نغمات باكية ممزوجة بأنين الصوت المشرئب بالهموم المثقل بالعذابات،وكأن الألم عند – اعتدال –لم يعد للشكوى بل للمتعة حين تمزجه بالطبيعة فتعطيه إطارا حسياً وتشخصه وتجعله مؤنسا يبعث اللذة والراحة.

إن وجود الفرد ضمن السياق المذكور يجعله بعيدا عن الأثر السيئ للحزن بالمعنى المفهوم بقدر ما يجعله مستعذبا عذاباته ومن ذلك قولها :

أيا همِّي ألم ترأف بروحي بربك قل متى تشفى جروحي

فروحي قد بدت تفنى وتُنسى تلاشت بي وزادت من قروحي

على ظلمي على يأسي وعجزي ودمعا دافئا صبي ونوحي

فيا ويحي تهاوى عهد سعدي ويا لهفي تهاوت بي صروحي (٢)

وتمضي عشرات النماذج على تلك الشاكلة الشاكية الباكية وتعدد الأمنيات بقرب الخلاص بلحظة ملاقاة الموت ،فهي تترقبه وتنتظره ،فإن كانت لا

---

[١] تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٣١

[٢] تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٥١

تستطيع أن تذهب إليه فلا مناص من ترقُّبِهِ وانتظاره وخاصة في ليال طوال تعد ثوانيها ولا ينتظر لها شروق ،ولكن تظل في ترقبها حتى ينفتق الصبح ويمضي الليل ولا يحضر من ترتجيه... تقول:

يا ليلة ضمت ثواني من قلق ... طالت ثوانيها عليّ بالأرق

روحي أرها عُذِّبت بل أغرقت ... ما بين آهات وصَرْخات الغرق

يكفي عذابي من دجى ليل قسا ... أني أراه زادني منذ الغسق

هيا أما آن الرحيل المرتجى ... الآن صبحي عله لي ينفلق

صبحي أراه ها هنا يا ليتني ... لكنني أخشى عليه ما وسق

أفجعتني إذ زاد حزني كلما ... ليل عليّ ثم صبحٌ انفتق(١)

كل ذلك الحزن ولا تبوح بسببه ولا تفصح عن حقيقته ،ولكن ينكشف السبب وتتضح الحقيقة من خلال تتبع أشعارها وقراءة ما في جعبتها فتفصح لنا أن فقد الحبِّ والعشق هو الذي يترك الإنسان معذباً وحزيناً فالعمر لا يصفى من دون الحبِّ والعشق ... تقول :

جمال الحب غادرني ... وودعني إلى الأبد

---

١ تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٥٩

وحيث النفس قد ذَبُلتْ وشاخ الرأس بالجسد

دموعُ العينِ قد نَضَبتْ وطار النومُ بالسُّهْدِ

وباد العرق في جسدي سئمت العيش في كمد

صباحي مثلما ليلى وأمضي اليوم في نكد

نشلت الفرح من قلبي ومن روحي ومن كبدي

وصنت القلب من حب ومن لهو ومن أوَد

وطلقتُ الهوى عَمْداً بلا عودٍ إلى الأبد(١)

إنها تنسج على ذات المنوال من الحزن وفقد السعادة والشباب وهجوم الشيب وطول السهر والسهاد ،إنها ترى أن غياب المشاعر وفقد الحب هو للأنثى بمثابة الموت ،فلا سعادة للأنثى إلا بالعشق ولا حياة إلا بالحب وذلك حين تقول في قصيدتها :

كأن العمر لا يصفى بدون العشق والود

أما في الكون آيات تثير الشوق بالسعد(١)

---

١ واستمطرتك عشقا ٨٩

ثم تؤكد على أن قلبها لم يعد ذاك القلب الذي عهدته قبل غياب الحبيب ،فقد أصابها من الهم ما جعلها تفقد الأمل ... تقول:

إن الحبيبَ الذي قد زارنا يوما قد غاب عنَّا ولم يَأبَهْ لِلُقيانا

لا القلبُ قلبٌ ولا في الحبِّ من أمل كيف السبيل وربُّ القلب ينسانا

أين الحبيب الذي قد زارنا سحرا أليس يذكرنا طيبا وريحانا

يا لائمي في هواه قلب عاشقة قد شَفَّهُ الوجدُ عادَ القلبُ وَلْهَانَا (٢)

إنها دائمة الحزن بسبب فقدها لمن تحب حيث تبدلت الأفراح أتراحا والسعادة حزنا ولا مناص من الشوق والتوق إلى تلك الأيام الخوالي .

فالفقد أشعرها بالاغتراب النفسي والذي ترجو أن تعود منه إلى وطنها، وما ذاك الوطن إلا حضن الحبيب والسكن في عيونه ،لذا تأتي السمة الثانية من سمات الأنا الحزين عند اعتدال وتلك هي سمة الاغتراب النفسي.

٢- سمة الاغتراب النفسي:

---

[١] واستمطرتك عشقا ٩٠

[٢] واستمطرتك عشقا ٩٣

إن الحبَّ حين يملأُ جنبات الحياة فذاك هو الوطن والبيت والسكن ،وحين نفقد من نُحِبُّ ولو كنا في منازلنا فالغربة لا محالة تسكن المنازل وتعشش في البيوت، إن الوطن ليس البيوت والجدران، وإنما الوطن من نحب من الأهل والأخوة ،والحب لاعتدال هو الوطن والسكن ،وحين رحل المحبوب أخذ معه دفء الوطن وحنان الأهل ،ولم يعد إلا الاغتراب النفسي يملئ لبنات البيت ويتغلغل في أركان الحياة ،إنها دائمة التذكر لهذا الدفء حين كان المحبوب قريبا ،وها هي ذي تشعر بالوحدة والغربة والبرد بعد رحيله ،لذا سنجد في تلك الأصوات التي نعرضها ذاك الألم والشوق والتذكر والتوق لعودة المحبوب ،وما كل ذلك إلا لإحساسها بالاغتراب منذ فقده وذهابه ... تقول في قصيدة "عناق الذكريات":-

تعالَ نعانق الذِّكرى ونحيا الحبَّ بالشواق

نجوب الصبح اشراقا نفتِّق وردهُ الرَّقراق

نُقَبِّل بعضنا بعضا عصافير الهوى التواق

تذكرني ايا رُوحي بساعات الهوي الدَّفاق

وأيام قضيناها بقلب العاشق المشتاق

صفت فيها لياليا كبدر الحبِّ في الأفاق

فهلَّـا جئـت يـا حـبي نعيـد مجـالس العشـاق

ترانـا عنـد زاويـة ونهمـس مثلمـا الأوراق

علـى أغصـان فرحتنـا وجـدول مائنـا الرقـراق(١)

إنَّها تناديه بالعودة ، والرجوع إلى محراب الحب الدافئ ومجالس العشق الهانئ حيث صفت الحياة ، وأسدلت السعادة ستائرها على المحبين ، ولكن الآن لا تجد الدفء ولا الحياة الهانئة منذ رحيل المحبوب، لذا تكثر الذكريات آملة في عودة الحب وإياب العشق وحين تأتيها ذكريات الحب فتخترق الحجب الزمانية والمكانية ثم تتراءى أمامها أطياف الماضي وذكريات الأحبة ، وتناغيها أصوات الأمس فتطربها إلى حد ينسيها كل أصحابها ،فتسرح مع الذكرى الحالمة في أهزوجة عشق أزلية وتتراقص مع الأطياف رقصة مياسة فتشدو عشقا وتميل طربا .. تقول :

يـا صـوتا عـذبني شـوقا أنسـاني جُملـةً أصـحابي

يتهـادى مـن بـين الـذكرى ويناغي ليـل الأحبـاب

وعلـى وقـع الوجـع المضـني يتسـلل مـن خلـف البـاب

---

١ واستمطرتك عشقا ٩١، ٩٢

نغمـــات اللـــهو تُطَرِّبُنِـــي شـــوقا حبًّـــا وتصـــاب

وتدغـــدغ حلمـــي ذاكرتـــي فـــأجول العمـــر بسبســـاب

أهزوجـــة عشـــق تســـكرني وتراقصـــني بالأهـــداب

تتراقـــص أحرفهـــا دلّـــا مياســـة خطـــو منســـاب

ويرتلـــها ثغـــر يشـــدو عشـــقا ولهـــا في إطنـــاب (١)

وفي ليل النوى نجد اجتياح الشوق على القلب الحرّان في خطب مريع ،إنها الأفكار تهزي تائهة لا تعي فيما تفكر ،فالأمور متداخلة وما تدري ما قصة اجتياح الشوق ... تقول :

يجتاحني الشوق بليل النوى والقلـب حـرّان وخطـبي مريـع

والفكـر يهـذي تائهـا لا يعـي ما قصة الساقي بفصل الربيـع (٢)

ولكن شيئا ما يدوي بداخلها ويغلي كغلي الماء في القدور، ويُصْدِرُ ضجيجًا صاخبًا كالزحام الفظيع، وإذا بالروح تسمو فوق هامات المنى حين تدرك عظمة الشوق الرهيب إلى الأحبة:

---

[١] واستمطرتك عشقا ١٠١

[٢] واستمطرتك عشقا ١١٥

لكـن شـيئا قـد بـدا بـداخلي يغلـي يـدوي كالزحـام الفظيـع

والـروح تسمو فـوق هـام المنـى تلتاع شوقا لاحتـواء الضـجيع(١)

ثم للحظة تتذكر هذا الزمن الجميل حين صفا الزمان ورضيت الأيام فكان الحب أيام الصبا يهدهد القلوب والعشق يحبو في جمال بديع

مـا أجمـل القلـب سـخي الهـوى في الحـب أداهـا حليمـا وديـع

ويلـهث العمـر بليـل الصـبا والعشق يحبو في جمـال بـديع (٢)

ثم تعود إلى واقعها الأليم وحزنها المستكين ،حين تقارن بين ماض جميل وواقع أليم ،فقد دارت وشوشات الأسى فانساب الدمع بلون النجيع وإذا بالأحزان تفتح عليها أبواب الحزن المقفلة فتصطلي بالذكرى ويُعذَّب الفؤادُ الصريع، وحينها يسبح الحزن في مدارها الواسع فيضيق عليها الأفق الرحب، وتركض من أمام الحزن مسرعة ولكن هيهات فخطوات الحزن أوسع من خطواتها ولن تستطيع منه فكاكا ولا هربا .. تقول:

---

[١] واستمطرتك عشقا ١١٥

[٢] واستمطرتك عشقا ١١٥

دارتْ وماجت وسوسات الأسى والدمع منساب بلون النجيع

وشائج الأحلام تفتضني فتصطلي الذكرى فؤاد الصريع

يَفْترُّ حزني في مداري الذي قد كنت أحياه بأفق وسيع

ضاقت فضاءاتي لوقع الصدى والركض أعياني ولا من شفيع (١)

ولا يخفى هذا الصوت الأنثوي الرائع الذي نسمعه في إحساسها بالغربة القاتلة وحربها مع ذكرياتها الهائئة والمقارنة بين ماض وحاضر ولعل أبرز علامات ذاك الصوت قولها " وشائج الأحلام تفتضني" فالفض للبكارة وهو تعبير أنثوي خالص وقد قصدت به – كما ذكرت– أنها لم تعرف الأحزان ولا الآلام إلا حينما أصبحت وحيدة فجاءت الأحلام والرؤى ففتحت عليها أبواب الحزن المقفلة وافتضتها.

ويتجلى الألم حين تتراءى الذكريات أمام ناظريها ، أو حينما يبعثها باعث فيفتق الجراح وتعود الحياة إلى ماض جميل عفا عليه الزمان بركامه، ولكن ريثما يدعوه داعٍ فإنه حاضر في القلب وماكث في الروح، فترى الذكريات وقد بُعِثَتْ فيها الحياةُ من جديد، فَتَحْدُثُ تلك المقارنة الظالمة بين ماضٍ وحاضر، وها هي ذي ابنتها الصغيرة تضع يدها على الجراح فتفقئها وعلى القلوب

---

١ واستمطرتك عشقا ١١٥

فتدغدغها، وعلى حرارة الشوق فتشعلها، وذاك حين سألتها عن حبيبها أين ذهب ولِمَ تركها؟

وإذا بالحزن يشمر عن ساعديه ويلفها بسواده القاتم ،فحينما تركها المحبوب –هجرا أو سفرا أو انفصالا– شعرت بالأسى والحزن ،حزن الأنثى التي فقدت وليفها ، أو تلك الثكلى التي فقدت وحيدها ،ولم يعد لها إلا الدموع تصوغ منها العقود أو حزن القلب تصوغ منه العهود، أو الشوق تصوغ منه أبيات الشعر في سيمفونية حزن وألم وشوق ، تقول في قصيدتها (ذكرتني)

ذكرتني حلوتي حبا قديما

حركته غادتي جرحا أليما

دغدغت قلبي بأشجان الهوى

ونيران الجوى

يوم كان النبض في القلب سليما

باغتتني سائلتني عن حبيب القلب عمدا

عذبت قلبا محبا مستهيما

قبلتني داعبتني

واحتوت جرح الأسى

قلبا قسا

كفكفت دمعا سخيا وكريما

صغت حبي من دموع العين عقدا

من دماء القلب عهدا

ونَظَمْتُ الشوق شعرا مستقيما(١)

وتقول :

يا فَتَايَ يا منايَ هل رحمت القلب مني؟ وسالت الغير عني ؟ فلو رحمت القلب ما تركته وحيدا معذبا ولو سألت الناس عني لعرفت ما أقاسيه من فراقكَ وبُعْدِك وأن القلب من بعدك أصبح معلولاً سقيما ... تقول :-

يا فتاي

يا مُناي

هل رحمت القلب مِني

وسألت الغير عني

أم تركت القلبَ

معلولا سقيما ؟؟ (١)

---

١ واستمطرتك عشقا ٨٣- ٨٧

٣- استثمار الهم الذاتي للصعود إلى الهم القومي

ربما يبدو لأول وهلة أن الدافع العاطفي والوجداني هو الدافع الأساسي لتفجير الهوس الإبداعي عند شاعرتنا اعتدال، إلا أننا من خلال القراءة المتأنية للنصوص الشعرية نكتشف أنها تنجح نجاحًا باهرًا في الصعود بهمومها الشخصية إلى الهموم القومية، فتنتقل من الهمِّ الذاتي الفردي إلى الهمِّ الجماعي القومي.

من ذلك حين تصف مصيف "مشقيتا" وهو مصيف سوري رائع يقع شمال مدينة اللاذقية تقول في افتتاحيتها :

سكن الجمال بعينيكِ النجلاء فبدا الكمال بُحلَّةِ الأضواء

ومنها:

وَجهُ الطبيعةِ ضَاحكٌ مستبشرٌ يَحْكِي الجمالَ بقصةِ العذراءِ

تِلْكَ التي ما افتضَّ بعدُ جمالُها وتَسَرْبَلَتْ مجلوذَّةً بزهاء(٢)

ونلحظ تلك الأنثى بطبيعتها وأنوثتها في قولها : (عينك النجلاء – حلة – وجه – الجمال – العذراء – افتض جمالها – تسربلت) وكلها ألفاظ أنثوية محضة.

---

[١] واستمطرتك عشقا ٢٢٥

[٢] واستمطرتك عشقا ١٩

ثم نراها في وصف مشقيتا تشاركها همومها وأحزانها وتتداخل الأوصاف ما بين حزن غائر في النفوس وبين جمال باهر تراه العيون، فتشكو همها وتصف رؤيتها، فتتداخل المشاعر ما بين إحساس بالحزن واستمتاع برؤية الجمال، فعندما رأت البحيرات السبع في مشقيتا مع صحبتها بدت البحيرات كأنها تغازلها حتى أيقظت ذكرى الهوى، فحاولت أن تتناسى حزنها وتسبح في بحر الجمال الذي تراه ولكنها جراحات الهوى دَوَّتْ بتعافي الذكريات، ولما لم تجد بدا من ذلك أطلقت العنان لآهاتها العتيقة لتنساب في الواحة الخضراء

سبع البحيرات التي طفنا بها ... طَوفَ الخيالِ برفقةِ النُّدَمَاء

قد غازلتنا في الهوى حتى بدا ... ذاك الهوى في نشوة السُّعداء

وغضضت طرفي خلسة علِّي أرى ... ذاك البهاء المزدهي بصفاء

وتموجت آهٍ بأخرى مثلها ... تفتض أسرابَ الحنينِ النَّائِي

خَلْفَ المتاهاتِ الرَّتِيبَةِ تنتهي ... فتجيبُنِي الذِّكرى على استحياء

دَوَّتْ جِراحَاتُ الثكالى بينها ... والقلبُ يقتاتُ الأسَى بِجَفَاءِ

عندَ المغيبِ بَدَا الفضاءُ مُحَيِّرَا ... يَنْعِي الوجودَ بِدَمْعَةٍ خَرسَاءِ

أطلقتُ آهاتِي العتيقَةِ حُرَّةً مُنْسَابَةً في الواحةِ الخَضراءِ (١)

(١)

فتضم همومها إلى الهموم القومية مثل قصيدتها "أسياج الكِبر" في وصف الفقراء والتي أولها :

ساح من النور أسياج من الكبر ترميهم حنقا في حثلة الشرر

سرب يراوحهم بالحب يغمرهم من الملائكة الأطهار والغرر (٢)

(٢)

وتقول في وصف الفقراء :

شمس الحقيقة قد لاكت أصابعها من صُفرِ أطمارهم في أرذل العُمر

والعمر يحدوهُمُ حرَّان ينشرهم بين المتاهات أشتاتًا مِنَ الثَّمَرِ

والآه مَجْلُوَّةُ السِّربالِ عندهُمُ تَفْتَضُ بهجتهُمْ في زحمةِ الضَّجَرِ

رَهْفُ الفضائلِ تزهو فِيهُمُ طَرَبَاً والصبرُ حَيَّاهُمُ في زفَّةِ السَّمَرِ

في حانةِ الطُهرِ أسرارٌ مُؤرَّجَةٍ أعجوبَةُ الدهرِ لا تَبْقَي على أثَرِ(٣)

---

[١] واستمطرتك عشقا ٢٠

[٢] واستمطرتك عشقا ٤٧

[٣] واستمطرتك عشقا ٤٨

مباسم صنعا ونجوى عدن تحن إليك وكل اليمن

دلفت إليك أزف المنى وأشكو اشتياقي بحرف الشجن

وتشارك همها الذاتي مع الهم القومي بنسيج رائق رائع وتقول :

تموج الحروف ويدنو البيان وترسو المشاعر صوب اليمن

وحيث الجمال هنا يرتقي سلالم زهو إذا ما استكن

وأرض لبلقيس ضجت أسى تناديك شجوا بحزن تئن

وباتت بصنعاء تبكي الألوف عليك وتبكي القنا في عدن

---

[١] واستمطرتك عشقا ٧١

ومنها:

أيا هدهد العُرب هل جئتنا ؟ بأخبار بلقيس أو ذي يزن

ففيها الحضارة عاشت زمانا تؤرخ مجدا عزيز الثمن (١)

(١)

وفي قصيدتها "عشق هجري " والتي كتبتها لمدينة (الأحساء) نجد ذلك التداخل الرائع بين الهم الذاتي والهم القومي وهي تقول:

أحساء يا نبض القلوب أتيتك والشوق أضناني للثم ثراك

قد هاجت الأشواق مني فاعلمي أني عشقتك ما عشقت سواك

لا القلب يأنس بالهوى من دونكِ لا الروح تسعد في الملا لولاك(٢)

إني أتيتك أشتكي وجد الهوى والسهد أعياني بليل باكٍ

تخاطب مدينتها الحبيبة "الأحساء" وتصفها بأنها نبض القلوب وتقول لها: إني اتيتك بعد أن أضناني الشوق لتقبيل ترابك، فقد هاجت الأشواق

---

[١] واستمطرتك عشقا ٧٢-٧٣

[٢] واستمطرتك عشقا ٧٩

وماجت فاعلمي يا مدينتي أنني أعشقك أنت فقط وليس أي مدينة أخرى ،فلا يأنس القلب بالهوى من دونك ولا الروح تسعد لولا وجودك في الدنيا .

ثم تذكر عددا من شعراء العرب استدعاء لهذا الموروث التاريخي لاستفسار عظمة هذا التاريخ وإسقاط ظلاله على الواقع ... تقول:

يـا أمَّ طَرَفَـةَ والمُتَقَّـبِ إنَّـني وابْـنُ المُقـرب بـالمُنى جِئْنَـاكِ

ابنُ المقربِ قـدْ تبسَّمَ ضَـاحِكَاً والنَّشْـرُ عَطَّـرَهُ كَفَـرْعِ أرَاكِ

هَذِي تُمَاضِرُكِ الجميلةُ قَدْ أتَتْ تَشدُو القصيدَ وتَشتَهِي لُقْيَاكِ(١)

لُقْيَـــــــــــــــاكِ(١)

ونلحظ خطابها لأم طرفة وأم مثقب وليس لطرفة والمثقب مما يوحي بالصوت الأنثوي الواضح في شعرها حين تهتم بخطاب الأنثى، وحين تشير إلى "تماضر" الخنساء فإنها تؤكد وجود الأنثى في التاريخ العربي وتأثيرها الفاعل في الحياة العربية قديما وحديثا،وتختتم القصيدة بدعوتها مدينة الأحساء إلى استنهاض التاريخ الخالد بالعزِّ والأمجاد إلى العودة إلى تلك العظمة الخالدة ... تقول:

واستنهضي التاريخ ذكرا خالـدا بـــالعز والأمجـــاد قـــد روّاك

حَيِّي معي الأطياف في هذا المسا وتضوعي أرَجَاً بطيب لِقاكِ(١)

---

١ واستمطرتك عشقا ٧٩

٤- اختلاف الهوية الذاتية عن الهوية الجماعية :

لعل الاختلاف ذاته هو محور الإبداع ومناطه ،فإذا ما سار الإنسان على نهج المجموع ولم يختلف عنهم في شيء فلن يكون هناك جديد ولن يولد أي إبداع ،وإنما يأتي الإبداع من ذاك الاختلاف والجدة، فحينما يترك المبدع لنفسه العنان فيخرج ما بداخله من طاقات إبداعية حينها تبدو غريبة أو مختلفة عما هو سائد في مجتمعه، ولكنها بعد الفهم والنظر تظهر كينونتها الإبداعية واختلافها الخلاق.

وشاعرتنا رغم تمسكها بالجذور القومية واهتمامها البالغ بالهموم القومية إلا أنها وفي إبداعها –خاصة – تبدو ذاك المختلف أو قل ذاك المبدع، ربما غردت بعيدا عن السرب أو أضحت نغمتها نشاذا وسط لحون دأب الجميع على عزفها بذات الوتيرة، ثم تأتي "اعتدال" لتكون هذا الصوت المستغرب وهذا العازف المنفرد المغرد بعيدا عن السرب بنغمات جديدة لم تألفها أذن المجتمع ومن هنا كان الاختلاف وميلاد الإبداع.

ربما الهوية عند اعتدال هي ذات الهوية عند بقية أفراد مجتمعها ، إلا أن هويتها الفنية ذات خصائص تفردية، فالخصوصية التي تتأرج بين الجموح المجنح المحبب الأكثر ابتكارا أو إبداعاً والاعتدال المعقلن الأشد إيلافا لتؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن شاعرتنا "اعتدال الذكر الله" ماضية بإصرار على درب الإبداع الشعري، حيث يتأسس الجانب الذاتي في قصائدها على بنية

---

[١] واستمطرتك عشقا ٨١

احتفالية طقوسية تكشف عن ابعاد التوتر الخلاق بين هوية الذات المفردة المختلفة عن مثيلاتها جوهريا – باعتبار فنيتها أو ابداعيتها – وبين الهوية الجماعية التي تنزع إلى محو أو قمع كل اختلاف من هذا النوع كما لو كان خطراً يهدد وحدتها ومعاني وجودها .

وبنظرة سريعة إلى ديوان " واستمطرتك عشقا" تكتشف هذا الاختلاف في إبداع شاعرتنا بل من مجرد عنوان الديوان نجد هذه الهوية المختلفة في مجتمع محافظ إلى حد بعيد .

وبنظرة عامة على العنوان نجد المفتاح الأول والذي يطرح علاقة الذات الشاعرة الكامنة في الضمير المخاطِب "أنا" والآخر المعشوق الكامن في الضمير المخاطَب "أنت" خلال الفعل "واستمطرتك" المسبوق بواو العطف التي تؤكد أن الديوان هو مرحلة سبقتها أخرى في دواوينها الثلاثة السابقة، أو ربما عملية فعل بعد عمليات انفعال وإدراك ومراقبة وهي كلها عمليات أساسية في سيكولوجية اللحظة الإبداعية حيث هي عمليات في الوعي يقوم بها المبدع مع ملاحظة ذاته والآخر ملاحظة تأمل ومراقبة.

واستمطرتك أي طلبت مطرك أو جعلتك تمطر...عشقا .....وإذا كان المطر حسيا والعشق معنويا.. فإن العلاقة الناتجة بين الحسي والمعنوي هي علاقة ينتجها الابداع الشعري لأنه لا علاقة بينهما في الواقع فتلك كمياء الشعر.... من كل ذلك فإن العتبة أو المفتاح الأول، لم توضع هكذا جزافا كمجرد علامة للبداية أولافتة على قارعة الديوان، بل هي منتج إبداعي مخصوص يختزن بداخله معنى كليا للديوان في كلٍّ واحد متحد، كما هو الحال

في عتبة النهاية، أو الخروج، وأعني بها الكلمات التي أختيرت بعناية فائقة لتوضع في ظهر الغلاف.

في هذا الليل العميق

ونشوة الهمس الرقيق

ولذة الأنس

واشجان سكارى

لا تفيق!!!!!

وذكريات الهجر والوصل

على ذاك الطريق

صب الهوى يا سيدي

أكواب سهد بالرحيق

هي إذن ليست مجرد لافتات للزينة، بل هو منتج ابداعي مخصوص، يمتاز بقدرته الفائقة على اختزال المعنى الكلي والحالة الفكرية والشعورية للذات الشاعرة في كلٍّ شامل مقطر كمفتاح وخلاصة في آن معاً.

ويظل تبادل التأثير والتكامل بينهما وبين كائنات هذا العالم (١)

---

[١] بين يدي ديوان "واستمطرتك عشقا " مقالة للأستاذ / محمود عبد الصمد زكريا غير منشورة

لعل الناظر إلى شعر اعتدال وخاصة ديوانها "واستمطرتك عشقا " سيلمح بسهولة تلك الهوية الذاتية لدى الشاعرة ،وذلك حين تجد لديها هذا الصوت الشعري والبوح الصارخ بالحبِّ والعشق ،و المخالف إلى حَدٍّ بعيد لما عليه المرأة في المجتمع السعودي، فصوتها الصارخ وبوحها الواضح هو إبداع في حد ذاته، ولكن التفحص في ما وراء ذاك الصوت من الشاعرية والإبداع يُظْهِرُ لنا أنثى متفردة وشاعرة مبدعة لا تقل إبداعًا ولا شاعرية عن الكثير ممن قرضوا الشعر قديماً وحديثاً رجالاً أم نساءً.

اسمع إليها وهي تقول في "نشوة العشق":

أُغْـــرُودَةُ الآمـــالِ لا تَهْجَعِـــي ... إلا عَلَـــى أجْفَـــانِيَ الذّاويـــهْ

فـــالروحُ سَـــكْرى والفـــؤادُ بَـــدَا ... يُشَـــبْرِقُ الـــذِّكرى بأشـــجانيه

زوارقُ الأشـــواقِ في زَهْوِهـــا ... تَشْـدُو بأنغـامِ الهـوى سَـاهِيه

لا الليـلُ يهـدأ لا الفـؤادُ ارْتَـوَى ... والنشـوةُ الكُـبرى بَـدَتْ طَافِيـه

طابـتْ لياليـنَـا وطـابَ الهـوى ... والحـبُّ أنفـاسُ لنَـا سَـارِيَهْ

نَشْـتَاقُ لَـثْمَ الـذكرياتِ الـتي ... كانـتْ بأجفـانِ المُنَـى غَافِيـهْ(١)

---

١ واستمطرتك عشقا ١١

إن الألفاظ المنتقاة بعناية فائقة والمرتبة بطريقة ساحرة لتنبأ عن شاعرية مفرطة لدى اعتدال، حيث تبدو الكلمات كسمفونية رائعة ،كل جملة موسيقية تسلم الأخرى في تناغم رائق وانسيابية مبهرة، وتترك في الأذن جرساً مطرباً ممتعاً، فضلاً عن المعاني الرائعة التي تحملها تلك الألفاظ الموسيقية ،والتي تجسد معاني الشوق والحب والنشوة والهيام.

إنها تنادي "أغرودة الآمال" – ويا لها من آمال لا أغرودة خاصة– بألا تهجع ولا تنام ولا تستريح إلا على أجفانها، إنها صورة في منتهى الروعة حين تأتي أغرودة الأمل وتبحث عن مكان لتستريح به ولا تجد إلا جفونها الذاوية لتكون لها مستقر ومستودع

ثم تقدم مُسَوِّغاتِ طلبها وحججها فالروح سكرى والفؤاد بدا يشبرق الذكرى بأشجانها، وزوارق الأشواق تشدو بأنغام الهوى، والليل لا يهدأ والفؤاد لا يرتوي والنشوة بدت طافية، ومع اللقاء طابت الليالي وطاب الهوى، وأصبح الحبُّ أنفاساً سارية، وأصبحنا نلثم الذكريات التي كانت غافية بأجفان المنى.

إنها اعتدال تأخذنا إلى عالمها الخاص وشاعريتها المتفردة وإبداعها الطموح حين تتخير ألفاظا موحية مبدعة وجملاً متناغمة متأنقة وخيالًا بارعًا مبدعًا، فتثبت هويتها الشاعرة المحبة العاشقة، وتبوح بشعر يقطر حبًّاً وعشقاً ويسمو بالعاشقين إلى مراتب النشوة والهيام.

ونراها تفصح عن هويتها الذاتية في "جميل الألحان" وتبوح بعشقها في صوت أنثوي يطرب المسامع ويأخذ القلوب والمجامع ... تقول:

إليـــكَ جميـــلَ ألحـــانِي ونـــبضَ فـــؤادِيَ الحَـــانِي

فخمـــرةُ عِشـــقِنَا طَابَـــتْ بليـــلٍ سَـــاهرٍ قَـــانِ

أدِرْهَـــا الكـــأسَ يـــا عُمْـــرِي وراقِصْـــــنِي بِتِحْنَـــــانِ

تَـــدَلَّلْ في الهَـــوى طَربـــاً ودَلِّلْنِـــــي لِتَلقَـــــانِي

فـــذاكَ الوجـــدُ دَثَّرَنِـــي وحُلْـــمُ الأمـــسِ نَـــادَانِي

إلـــي حيـــثُ انْتِشَـــاءَاتِي وأحلامـــــي وأشْـــــجَانِي

وزهـــوِ الشِّـــعْرِ غَـــالَبَنِي وهَـــزَّ الشـــوقُ أرْكَـــانِي

تَـــدَلَّتْ بِـــالمُنَى نَمَـــرٌ بأشْـــــكَالٍ وألْـــــوَانِ

قِطَـــافُ الوصْـــلِ دَانيـــةٌ وظِـــلُ الأنْـــسِ يَرْعَـــانِي (١)

إنها هدية الشعراء للعاشقين، وما هي إلا قصيدة تحمل في طياتها أطيب الأحاسيس وأدفأ المشاعر، تهديها إليه مع نبض قلبها الحاني، فقد طابت خمرة العشق في ليل قان، ذاك اللون الدافئ الشاعري، لذا أدر الكأس وراقصني بتحنان ورقة، وتدلل واطرب ودللني لتلقاني، فالوجد دثّرها بدثاره

---

[١] واستمطرتك عشقا ١٥

وناداها حلم الأمس إلى واقع اليوم وإلى حيث النشوة والأحلام، والشعر بزهوه غالبها لقول القصيد وهز الشوق أركانها إلى الحبيب، وقد تحققت كل الآمال بقرب المحبين فطاب الثمر وأصبحت قطوفه دانية وظل الأنس يرعى المحبين ، فلا أجمل من تلك اللحظات ولا أروع من تلك الدقائق.

وفي موضع آخر تعبر عن تلك الهوية الخاصة التي ترى البوحَ بالحبِّ منهجًا وتؤمن بالعشق مذهبًا، ولا تخشى لومَ لائم أو حقد حاقد ،وتنحت من "خربشات العشق" على جدران العشق قصيدتها ورؤاها فتقول:

خربشاتُ العشقِ صُغْنَاهَا إنتشاءً ... وَرَسَمْنَاها احترافَاتٍ عَشِيًّا

خَارِطَاتُ العُمرِ جُلْناها احترافَا ... بَيْنَ سَهْلِ الوَجْدِ شَوقاً والثُّرَيَّا

ومنها:

شَهوةُ العِشقِ اسْتَفَاقَتْ واسْتَبَدَّتْ ... واستطالَ الشَّوقُ قلبًا عَنْجَهِيَّاً

واسْتَشَاطَ النَّبْضُ وَهْجًا سَاطِعًا ... يَصْعَقُ الرُوْحَ احتراقاً سَرْمَدِيًّا

نجمعُ الشُّحناتِ جَمْراً فِي الهَوىَ ... ويذوبُ الجَمْرُ زَهْوًا فِي يَدَيَّا

ونَفَثْنَا العِشقَ سِحْرا في كِلَيْنَا ... وارْتَأَيْنَا السِّحرَ حِرْزًا وَرُقِيَّا

نَسْتَطِيبُ الدَّمعَ مِدْرَارا سَكُوباً ... يُزْهِرُ العُمقَ امْتِنَانًا وَرَوِيَّا

ويُجِنُّ العَقْلُ فِينَا بِضَجِيجٍ ... يُرعبُ القَلبَ فَيَطْوِي العُمْرَ طَيَّا

إنَّنِي الأُنْثَى التي صَاغَتْ رُؤَاهـا مِنْ شَجَى العُشَّاقِ حُلْمَا جَوْهَرِيًّا

بينَ حَانَاتِ الهَوى الخَمْرِي أَحْيَا وأَجُوبُ الوَجدَ وجْدَانَاً قَصِيًّا

حيثُ غَايَاتُ المُنى الغُرُّ اسْتَبَانتْ واسْتَطَابَ العُمْرُ شَهْداً مَوسِمِيًّا(١)

مَوسِمِيًّا(١)

تتحدث بلسان الجمع وكأنها ومن تحب قد صارا كلاً واحداً ،وأصبحت لا تصنع شيئا إلا معه ،فها هي ذي تقول إن خربشات العشق صغناها إنتشاء وسعادة ورسمناها باحتراف في مساءٍ جميل ،وخرائط العمر جلناها احترافاً وشوقاً بداية من السهل المنبسط في الأرض إلى نجم الثريا في الفضاء، ثم تقول : إن شهوة العشق استبدت بعد أن استفاقت واستطال الشوق قلباً كان متكبراً ومتعجرفاً، وتواصل هذا البوح وتصف شحنات الهوى وسحره ،وتطيب الدمع من آلام المعقول والمقبول ،ثم تأتي الهوية الذاتية باعتراف ظاهر بعد أن نقلته في أبياتها السابقة وتقول :

إنني الأنثى التي صاغت رؤاها من شجى العشاق حلما جوهريا

تقول إنها الأنثى التي كونت شخصيتها ورؤاها وأفكارها من شجى العشاق وآلامهم وأحلامهم بل وكل ما يُحكى عنهم، فراحت تجمع قصصهم وأخبارهم ثم اختارت ما يحلو لها ثم كونت تلك الشخصية والذات المتفردة فأصبحت رؤاها كأنها حلم جوهري رائع، فأضحت تعيش بين حانات الهوى

---

١ واستمطرتك عشقا ٣٧-٣٨

الخمري، وتتجول وتجوب في مدائن الوجد، حيث أصبح المنى غابات مليئة بالمناظر الخلابة والرياض المورفة فاستطاب العيش فيها وكأنه شهد موسمي.

نراها في النماذج السالفة تخرج من عباءة الشعر الأنثوي السعودي الحديث والمعاصر وترتدي عباءة جديدة تكشف عما في ذاتها وقلبها، ولا تدع لتلك القيود الصماء فرصة لتكمم فاها أو تخرس لسانها، تأبى القيود وترفض السكوت، فتبوح وتَجْهَرُ بأحاسيسها لتعلن ذاك الصوت وتسمعه للآخرين، إنها الأنثى الجديدة في الشعر السعودي المعاصر و الصوت الأقوى في البوح الشعري، نراها المتمردة على القيود ،الرافضة للسكوت والتحفظ، إنها اعتدال الذكر الله تعلن عن ذاتها وهويتها التي تأخذ من البوح مذهباً من الصدق الفني والنفسي ديدنًا لتقول لنا إن المرأة خرجت من بوتقة السكوت إلى ساحات البوح وفضاء المشاعر.

٥- التمسك بالجذور وعدم الانفصال عن الأصل:

على الرغم من هذا البوح الجميل الذي لمسناه والذي سنراه بوضوح أكبر في صفحات هذا البحث، وعلى الرغم من المسلك الجديد الذي اتبعته اعتدال والذي يوحي بتغريدها بعيدا عن السرب وبعدها عن الجماعة التي تضمها أو المنهج السائد في مجتمعها إلا أنها تظل بكل جِدَّةٍ متمسكة بجذورها العربية والإسلامية ومتمسكة بتلابيب القيم التي تَرَبَّتْ عليها والقيم الفنية التي ورثتها من شعرائنا السابقين وتظل غير منفصلة عن أصلها ومنبتها ولتمسكها بالجذور دلائل كثيرة منها:

أولا: التمسك بعمود الشعر الخليلي، فمعمارية القصيدة عندها خليلية بحتة، وإن كانت لجأت في القليل من قصائدها للشعر الحر وشعر التفعيلة فذلك لبيان مقدرتها الفنية على الكتابة في الشعر الجديد ،إلا أن كل دواوينها عموديةالهوى.

ثانيا: الخطاب عربي السمات والملامح والشخصية، فحياة الجزيرة العربية ،وتاريخ العرب ،وصحراؤهم ،وشعرهم وشعراؤهم- يتواجدون في شعر اعتدال كل ذلك وغيره حضر في ذهنها وقلبها.

ثالثا: الخطاب الإسلامي النزوع والخلق، فكل ما في شعرها لا يخرج عن هذا السمت، فالإسلام وما يدعو له من كريم الأخلاق دائم الحضورفي شعرها ، مثل قصيدة "الإسراء في ذكرى اللقيا " بديوان تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٣٣.

رابعا: للتناص في شعرها دليل على التمسك بالجذور سواء التناص القرآني أوالتناص مع الحديث النبوي أو التناص مع شعر القدامى حيث وردت مشاربهم وارتوت من نبعهم وراحت تنهل من معينهم ،وتربو إلى محاورتهم ،في مشهد يوحي بقراءة جيدة للتراث وهيام بالغ بالقديم، ومن ذلك عنوان قصيدتها (صحبتي مع امرئ القيس)(١)

خامسًا : الخطاب الوطني الملامح :

وهذا الخطاب يظهر كثيرًا في القصائد الوطنية التي تنتشر في ديوانها "واستمطرتك عشقا" ودواوينها الأخرى مثل قصيدة "مشقيتا" ص ١٩ و رحلة في مدينة غازي القصيبي ٢٧، واسياج الكبر في وصف الفقر والفقراء ص ٤٧، و ورد الثقافة وأذكار الإباء ص ٥٥، وهدهد العرب ص ٧١، و الباحة ص ١١٩، وزهو السلاطين ص ١٢٣، وكلها بين دفتي ديوان "واستمطرتك عشقا"

وفي ديوان تراتيل الروح في زمن الغربة نجد قصيدة في مدح الملك فهد بن عبد العزيز بعنوان "فهد المعالي" ص ١١ وقصيدة "يا أهل هجر" ص ١٥، وقصيدة " يا فلول الغدر" ص ١٩وهي قصيدة قومية عن القدس الشريف لاستنهاض الهمم العربية لاسترداد الحق المضيع طيلة الأعوام الماضية.

---

[١] ديوان تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٨١

الفصل الثالث

" الأصوات غير التقليدية"

• البوح الشعري : ويشمل صوت الحبيبة والأنثى .

ذاك هو الصوت الأعلى والأهم والأكثر تميزًا عند شاعرتنا اعتدال حيث إنها تبوح فيه بعشقها وحبِّها بوحًا صراحًا، وتحكي هواها، وتشرح عذاباتِ الحبِّ وآلامه وسعادته وشقاءه، كل ذلك في قصائد رائعة تفيض عشقًا وجوىً.

إنها مشاعر الأنثى وصوتها الصادق في لحظات المصارحة والمصالحة مع النفس ، والبوح بما تحسه بلا خوف أو خجل ، ودون مراعاة لأي اعتبارات أخرى غير الصدق مع النفس، تترك العنان لشاعريتها أن تفيض ،فتكسر حواجز القيود التراثية والاجتماعية، لا تلقي بالاً بتلك الألسنة المتربصة بِنِتَاجِها الشعري، ولا تحسب حسابا لنقد المنتقدين وحقد الحاقدين،بل تكتب للفن والإبداع الشعري والبوح الخالص،فنرى التبتل في محراب العشق وساحة الشعر يجتمعان معاً لِيُكَوِّنَا الإبداعَ الجميل.

إن الدافع العاطفي والوجداني يبدو جليا في تفجير الهوس الشعري الإبداعي عند اعتدال وخاصة في ديوانها "واستمطرتك عشقا" حيث أغلب الديوان هو أغنية للحبِّ وعناق للذكريات وآمال في عودة المحبوب، وحكايات الهوى وأيام السعادة بقرب الحبيب، كل ذلك في أنشودة رائعة تفتق آذان المستمعين إلى بوح شعري متفرد في مكانه وزمانه ،استمع إليها وهي تقول في قصيدة "هذيان" (١):

هُـــزّ الأشـــواقَ السِّـــحرية وتَرَيَّـــثْ فِـــي قَطْـــفِ الزَّهْـــرَهْ

---

[١] واستمطرتك عشقا ٢٣-٢٥

إنَّ الأزهـــــــارَ البَرِّيَـــــــة تُنْسِـــــيكَ الأيَـــــامَ المُـــــرَّه

خَبِّئْنِـــي مَـــا بَـــيْنَ شَـــذَاهَا وانْثُرْنِـــي فِـــي لَيْـــلٍ ألْيَـــلْ

مَـــا أجْمَـــلَ لَيـــل العشـــاقِ في عَتمـــةِ حُـــزْنِ الأحْـــدَاقِ

حيـــــثُ الآمـــــالُ الدُّرْيِـــــه تَلْمَـــعُ تَسْـــطَعُ فِـــي الأفَـــاقِ

أبـــدأ يَـــا عُمـــري لا تَأفَـــلْ دَعْهَـــا الأحـــلامَ الوَرْدِيَّـــه

تُسْـــعِدُنَا عَنهـــا لا تَسْـــألْ يَـــا قَطْـــرَ الأنْـــدَاءِ الحُلْـــوَه

يـــازَهرَ النـــرجسِ لا تَرْحَـــلْ

اسْـــكُبْنِي عِطْـــرًا رَفْرَاشَـــاً

عَـــذْبَاً حُلْـــوَا لا يَتَبَـــدَّلْ

تناجيه أَنْ يهزَّ الأشواق السحرية، وأن يتريث حين يأتي لقطف الزهرة كناية عن طلبها الاقتراب بلطف والتعامل بتحنان ورقة معها، وساعتها بحنوها وجمالها ستنسيه الأيام المرة التي عاشها من قبل، وتطلب أن ينثرها في ليل جميل يجمع العشاق فوق عتمة حزن الأحداق، وفي ذلك الظلام الدامس اترك العنان لعقلك ليذهب بعيدًا مع الآمال والأحلام تلمع وتسطع وتشرق، فَتُحِيلُ

الليلَ نهارًا والظلام نورًا، ثم تطلب منه ألا يأفل ولا يغيب نوره ولا يتوقف عن الحلم، وليسكبها في كأسه شرابًا رقراقًا عذبًا حلوًا لا يتبدل ولا يتغير.

وفي قصيدة أخرى تعيد ذات الطلب بأن يصبَّ الحبيبُ كؤوس الهوى ويملأها بالحبِّ والذكريات، وأن يرتشفا سويا تلك الكاسات حتى يثملا بالحبِّ .. تقول في قصيدة "في مهب الذكريات" (١):

في هَـــــــدْأةِ الليـــــــلِ العَمِيـــــــقِ

ونَشْـــــــوَةِ الهَمْـــــــسِ الرَّقِيـــــــقِ

ولـــذَّةِ الأُنْـــسِ وأشْـــجَانِ سَـــكارَى لا تَفيـــقْ!!!!

وذكريـــاتِ الهجْـــرِ والوَصْـــلِ علـــى ذَاكَ الطَّرِيـــقِ

صُـبَّ الهـوى يـا سَـيِّدِي أكـوابَ سُـهْدٍ بـالرَّحِيقِ

دَعْنَـــا نُمَـــالَى نَرْتَشِـــفْ بُـــنَّ الهَـــوى

وَأدِرْ حُبَيْبَـــــــــاتِ النُجُـــــــــومِ

واللحـــن قـــدْ طَـــابَ عَلـــى وَقْـــعِ الوُجُـــومِ

والـــــذكرياتُ الفَانِيـــــاتُ الزَّاهِيَـــــاتُ

---

[١] واستمطرتك عشقا ٥٩-٦٣

فِـــــــــي زَهْـــــــــوِ الـــــــــدُّجَى

يخـــــــــزن أمـــــــــواج الحيـــــــــاه

يَنْسُـــــــــجْنَ رَسْـــــــــنَ الأمْنِيـــــــــات

في هَجْعَـــــــــةِ العِشْـــــــــقِ النَّضِـــــــــير

وبَهْجَـــــــــةِ الصَّـــــــــمْتِ المُـــــــــثِير

نَجْتَـــــــــاحُ دُجْـــــــــنَ الطُرقـــــــــات

نَفْـــــــــتَضُ لَيـــــــــلَ الحَـــــــــدَقَات

ونَرْسُـــــــــمُ الوَجْـــــــــدَ بِـــــــــأعْلَى الكلمـــــــــات

يـــا سَـــيدَ الحُـــبِّ أدِرْهَـــا الكـــأسَ في غَيْـــرِ افْتِنَـــان

واسْـــــــقِنَا الشِّـــــــعْرَ غَرامَـــــــا فِـــــــي غَـــــــرام

إنَّ فِـــي الشِّـــعْرِ مَـــلاذَا للمُحِـــبينَ عَلَـــى مَـــرِّ الزمـــان

سَـــيِّدَ النـــبضِ وأصـــل الصـــدق في عشـــقي الـــرهين

اسْـــتَكِنْ ياســـيِّدَ الإحســـاسِ في القَلْـــبِ وفي الـــرُوح

وفَـــــــــي الوَجْـــــــــدِ الـــــــــدَّفِين

فِـــي مَهَـــبِّ الـــذكرياتِ أنْـــتَ ماضـــيَّ وآنـــي

أنـــتَ سِـــحْرُ للجمـــالِ الغـــضّ فِـــي عُمْـــرِ الغَـــدَاة

إنـه صوت الأنثى يخرج من مكنونـه، ويَتَكَشَّفُ ببوح شعري رائـق رائـع ليغنـي على قيثارة الشعر أنشودته الرائعة، فتتلاحق نغمات العشق السيمتري الناعم لتكون مقطوعات شعرية ذات طابع موسيقي خاص يتراءى للسامعين أطيافا ملائكيـة، وذلك حين تنسـج "اعتدال" خيوطها الحريريـة من قاموسـها اللغوي الرقراق، فتتخيَّرُ أصداف الكلمات وجواهر الحروف وتصنع منها درة فريدة تخرج في شكل قصيدة مرصعة بالدُّر واللؤلؤ. وتجد ذلك في قصيدتها المعنونة بـ "سُكْرُ الحبِّ" التي تقول فيها :

نَسَـــائِمُ حُبِّنَـــا الـــوَرْدِي ثُـــزَيِّنُ صُـــبْحَنَا الوَضَّـــاء

تُفَتِـــقُ عَـــذْبَ قَافِيَـــةٍ لأشْـــعَارِ الهَـــوى الشَّـــمَاء

وتَفْـــتَضُ المَسَـــافَاتِ وذِكْـــرَى الوَصْـــلِ والأصْـــدَاء

فتَأتِينَـــا بِبَـــاخِرَةٍ وفيهـــا الرِّيـــقُ والصَّـــهْبَاء

رِدَاءُ الليـــلِ عَانَقَنَـــا كَمِثْـــلِ السِّـــرْحَةِ الغَنّـــاء

فأمْطَرَنَـــا بِهَمْسَـــاتٍ تُبَـــدِدُ وَحْشَـــةَ الظَّلْمَـــاء

ومثـــــل الوَشْـــــي في زَهْـــــرٍ فنَمْشِـــــي مِشْـــــيَةَ الخُـــــيَلاء

ليـــــالي الحُـــــبّ عِشْـــــنَاها نَطِـــيرُ عَلَـــى عَصَـــا الجَـــوزَاء

فَنَحْيَـــــــا رُوحَ عَاشِـــــــقَةٍ تُطَـــــرّزُ بُـــــرْدَةً خضـــــراء

وتَزْهُـــــو مِثـــــلَ غَانِيَـــــةٍ تُخَضِـــــبُ أيـــــديَ النُـــــدَمَاء

أعِـــــدْ يَـــــاربُ نَشْـــــوَتَنَا بِلُقْيَـــــا كُلّهـــــا أفيـــــاء

لِنَكْتُـــــبَ قِصـــــةَ الماضـــــي ونَسْـــــجَعُ مِثْلَمَـــــا الشُّـــــعَرَاء(١)

وفي زاوية أخرى نجد البوح الشعري لأنثى آلمها الفقد وأعياها الهجر والبعد، إنها الأنثى في أرق حالاتها ،وأصدق لحظاتها ، وذلك حين تذهب إلى تلك الساحة الأنثوية الفطرية فتحس ضعفها وتستشعر رقتها، وتتأكد أن قوتها لا تكتمل إلا بالآخر المحبوب ،فمن الرجل تستمد القوة وتجد الحماية والملجأ، وبدونه تحس الوحدة وتكابد الغربة، لذا فإنها ستصدق مع نفسها ولن تعادي مشاعرها وستعترف بالحقيقة التي تخفيها الكثيرات من النساء، وستترك العنان لمشاعرها أن تفيض وللسانها أن ينطق ولقلمها أن يكتب ويلامس الأوراق باعترافات تخرج من بوتقة الحقيقة حين تنفتق المشاعر المرتوقة.

اسمع إليها في قصيدتها بعنوان "احتراق في بوتقة العشق"، وفيها تقول:

---

[١] واستمطرتك عشقا ١٢١-١٢٢

يـــــــا حبـــــــــيبي لا تَلُمْنِـــــــــي

كُـــــــلُّ مَـــــــا فِـــــــيَّ احْتِـــــــرَاق

والْتِيَـــــــــــــاعٌ واشْـــــــــــــتِيَاق

واحْتِفَـــــــــــاءٌ بـــــــــــالهوى

والوجـــــدِ.. والغُربـــــةِ فِـــــي صَـــــمْتِ الجِـــــرَاح

وعَـــــبير النَّـــــزْف قـــــد شَـــــاع وفـــــاح

بـــــــين رُسْـــــــتَاقِ الأمَـــــــانِي

نَجْمُنَـــــــــــا الرَّائِـــــــــــعُ لاااااااح

تـــــاقَ ليـــــلُ السُّـــــهدِ والـــــدمعِ الغزيـــــر

للأســـــى والشَّـــــجْوِ والهمـــــسِ المُـــــثِير

يـــا حَيَـــاتِي حيـــثُ كُنَّـــا نَقْتَفِـــي دَرْبَ الزُّهُـــور

نَقْطُـــــفُ الحُـــــبَّ ونَمْتَـــــاحُ السُّـــــرُور

إذْ بِنَـــا نَهْـــوَى العِنَـــاقَ فِـــي اشـــتياقٍ واحْتِـــرَاق

ويـــــــــذوبُ الـــــــــدَّلُّ فِينَـــــــا

فتُوارِينـــــا الجِـــــراح وتُغَنِّينَـــــا الرِّيَـــــاح

في لياليـــــــــــــا المِـــــــــــــلاح

نكتفيـــــــــهِ الـــــــــدمعَ وصـــــــــلا

ويُجافينـــا الفِـــراق بـــين فتـــق الهجـــر يـــاروحي

ورتـــــــــــــق الأمنيـــــــــــــات

مُـــــــــدّ ســـــــــلوانا وذكرانـــــــــا

ولُقيانـــــــــــا هُنـــــــــــاكْ

حيـــث رَسْـــمُ الـــذكريات وجمـــالات الحيـــاة

وامتثـــــال العِشـــــق في سِـــــرْب السُّـــــراة

يـــــا حبـــــيبي لا تقـــــاومْ لا تُســـــاوم

إذْ تُقاضـــــيها الحيـــــاة في الجمـــــالِ النَضْـــــرِ

إننـــــا الحُـــــبُّ تَسَـــــامَى يـــــا عمـــــري حمامـــــه

نَعْتَلِـــــــــي الهامـــــــــات فخـــــــــراً

نَنشُـــــرُ الزَّهـــــوَ ريـــــا حينـــــاً وزَهْـــــرا

في ريـــــاض الأمنيـــــات وجميـــــلِ الرَّبـــــواااتْ

هَاتِـــــــهِ الحـــــــبَّ أبـــــا عُمْـــــرِيَ هـــــاتْ

إن قلـــــــبي في مَمَـــــاتِ دونَ ذَاكَ الاشـــــتياق

دونَ ذاكَ الاحـــــــــــــــــــــــــــــــــتراق

أنـــــــــــا لا أرضـــــــــــى الفِـــــــــــراق

إنَّـــــهُ الحُـــــبُّ انعتـــــاق وبـــــهِ أسمَـــــى تَـــــلاقْ

لعل ديوان "واستمطرتك عشقا" هو احتفالية بالحبِّ، وإن شئت قل هو مهرجان للحبِّ، ففيه تسمعنا اعتدال صوت الأنثى (أنا) في رحابة ودعة وصراحة وإيضاح وإمتاع وهوس، فإن كانت قبل ذلك تلجأ إلى التورية للتعبير عن مشاعرها تاركة للقارئ والمتلقي قراءة ما بين السطور إلا أنها الآن تبحر في عالمها الشعري تاركة شراعها لرياح العواطف تسيرها حيث تشاء ولن تحاول أن توجه دفة المشاعر بحسب اعتبارات مسبقة بل الحرية للمشاعر هي شعار السفينة وشراعها، والبوح الصادق هو عنوان المرحلة

الباب الثاني
الدراسة الفنية

المبحث الأول

اللغة

ليس للشاعر أداة تعبيرية يبرز بها وجدانه ويخرج ما يطوف في ذهنه من أفكار سوى الكلمة .. وإذا علمنا أن الشاعر مطالب فوق ذلك بأن يصنع بالكلمة الصورة والتمثال ويقدم النغمة الموسيقية ، بل ويعطى النص بعد ذلك من نبض حياته ما يجعله قادراً على الإثارة والتأثير وهو لا يملك لهذه الصناعة الضخمة الشاملة غير اللغة التي تدور على ألسنة الأمة الناطقة بها والتي يتدبرون بها معاشهم .

إذا أدركنا ذلك وقفنا على البراعة التي تحلت بها الشاعرة وجعلتها تفرز وتختار من اللغة الشائعة مفردات تتحول عندها إلى أدوات فنية تصوغ منها شعرها بحيث تكون خاصة بها تنجح عندها وتفشل لو استعارها غيرها بل تفشل عندها هي إذا استعانت بها على هيئتها في موقف غير الموقف الذي تألفت فيه حتى لو اتحد الموضوع لأن لكل شاعر موقفا مع كل موضوع وأحياناً بل ودائماً يتغير الموقف من الموضوع الواحد لو رجع إليه في ظل مؤثرات جديدة .(١)

لذا تستطيع أن تقول إن اللغة الأداة التعبيرية للأديب ، وأن الألفاظ أوعيه ناقلة للفكرة وموصلة للوجدان ، لذا يجب على الأديب انتقاؤها بدقة وبعناية فائقة حتى تؤدي وظيفتها المطلوبة منها ، وتكون ملائمة لفكره ووجدانه ومناسبة لمناخه النفسي .

---

[١] د / عبدا للاه محمود حسن محروس النصوص الأدبية ١١٢

ولابد من أن ينتقي ويختار الشاعر الألفاظ بدقة تتناسب مع تجربته الشعرية لأن اللفظ هو وسيلتنا لإدراك القيمة الشعرية في العمل الأدبي وهو الأداة المهيأة للأديب لينقل إلينا خلالها تجربته الشعورية ففي أي عمل أدبي كما هو في التماثل أو الصورة تناغم بين الفنان والطبيعة ، وفي تجربته الفنية يشكل بالألفاظ تصوراً لما حوله أو لبعض ما حوله ، ويقدمه لنا في إطار يحرص – واعياً أو غير واع – على أن يضمنه ، أحاسيسه وأفكاره(١).

والحقيقة أن اللفظة لا قيمة لها إلا داخل الكلمة ، والكلمة لا قيمة لها إلا داخل الجملة ، فاللغة ليست ألفاظاً ولا مفردات ، ولكنها علاقات حميمة يتألف منها الأسلوب .

"ويرى علماء اللغة أنه من المحال أن نصادر أحكاماً فلسفها شاعر ما أو آراءه دون تحليل مسبق للغة هذا الشعر ، فكل شاعر يتناول الأغراض التي يكتب فيها رؤيا معينة مستعيناً في التعبير عنها بوسائل أسلوبية مميزة، وغالباً ما يمكن إيجاد علاقة ثابتة بين بعض هذه الوسائل وبين غرض من الأغراض"(٢).

---

[١] انظر الدكتور أحمد كمال ذكي . النقد الأدبي الحديث . أصوله واتجاهاته ص ٣٩ دار النهضة العربية ببيروت ١٩٨١م

[٢] د/ علي عزت – اللغة والدلالة في الشعر ص ٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م

والأدب قائم على الاختيار والاستقصاء ، والشاعر يختار من اللغة المفردة التي في إمكانها إبراز عواطفه ثم يصنع تنسيقاً بين هذه المفردات ليتم التناغم بين المفردات لتنشأ موسيقا معبرة عن وجدان الشاعر .

والشاعر عندما يستخدم الألفاظ لا يستخدمها بمدلولها اللغوي فحسب وإنما بعد مراعاته لهذا المدلول ، يحمِل الكلمة شحنة انفعالية قادرة على نقل إحساسه ، والكلمة لا تعني في هذا المقام وحدها ، بل يجب وضعها في جملة تأخذ مما يجاورها وتعطيه فكل كلمة محملة بالوجدان إلى جانب المدلول الوضعي لها ، اكتسبته من الاستعمال في مواقف وجدانية معينة ، فتظل تعطي وتفجر ذكرياتها القديمة فيستعين بها الشاعر في نقل إحساسه إلى المتلقي ، ونحن إذ نتابع الشاعر هنا في مفرداته لا نطلب منها عطاء منفرداً ، وإنما ما تبوح به داخل الجملة وما ترتبط به معه من أحاسيس وانفعالات ، لأن الشعر تعبير وجداني ، والشاعر حين يصنع جملته ويختار لها المفردات لابد أن تكون معبرة عن المعنى المراد حسب وضعها ، وناقلة للوجدان حسب تفجيرها للذكريات التي استفاد منها في استعمالها الأدبي (١).

انظر معي إلى الكلمات التي اختارتها الشاعرة في التعبير عن تجربتها ،

وتعرَّف عليها لتكتشف ما فيها من شحنة وجدانية أفعمت بها نفسها، وحملتها عنها هذه الكلمات ، تقول اعتدال في مقطوعة بعنوان (غياب):-

---

[١] د / عبدا للاه محمد حسن محروس النصوص الأدبية بدون ص ٢٥٣

إنَّ الحبيبَ الذي قد زارنا يومًا قد غابَ عنَّا ولَمْ يَأبَهْ لِلُقْيَانَا

لا القلبُ قلبٌ ولا في الحبِّ ذا أملٌ كيفَ السبيلُ وربُّ القلبِ ينسَانا

أينَ الحبيبُ الذِي قد زارنا سَحَرًا أليسَ يذكُرُنَا طِيْبًا ورَيْحَانَا

أليسَ يذكرُ يَومًا جَاءنَا وَلِهًا ويَرْتَجِي مِنْ حبيبِ القلبِ عُنْوَانَا

يا لَائِمي في هَواهُ قَلْبُ عاشقةٍ قَدْ شَفَّهُ الوَجْدُ عادَ القلبُ وَلْهَانَا

انها تستشعر الوحدة والألم بسبب غياب الحبيب فتتخير من الألفاظ ما يجسد تلك الاحاسيس ويعبر عن تلك المشاعر مثل :-

(غياب ، الحبيب – زارنا يومًا – غاب عنا – لم يابه – لقيانا – القلب – الحب – أمل – كيف السبيل – ينسانا- أين الحبيب – سحرا – يذكرنا – ولهًا – عنوانا- لائمي – عاشقة – شفه الوجد – عاد القلب – ولهانا)

هكذا استطاعت الشاعرة أن تخترق الحجب الحاجزة للتراكمات الشعورية والشعيرات الحسية من خلال مفرداتها اللغوية وألفاظها وتراكيبها التي تقطر سحراً ورقة وجمالاً يبهت الناظرين .ونجدها في مقطوعة أخرى تذكر جمال وبهاء مدينة الباحة وتتخير من الألفاظ ما يظهر جمال المكان وروعة الزمان ،وتدعو من يسمعها إلى زيارة رياضها الغناء وجنانها المورقة ...تقول :-

والألفاظ التي استخدمتها الشاعرة تبعث طاقة تعبيرية عاطفية وحسية ، تنتمي إلى أفكار الشاعرة وعاطفتها ووجدانها نحو مدينة من بلادها الغالية ،فاختارت لتجربتها الشعرية ألفاظاً تطابق الإيقاع الشعوري ومناخها النفسي ومن تلك الكلمات :

(تاق – القلب – الراحة – تدلل– الهوي – طربًا – تعجل – اقصد الباحة – جنان الله – طابت – عطر الحب – فوَّاحة – أزهار – أطيار – شدو السعد – صداحة – أبهاك – روض – أحلاك – واحة)

المفردات كلها تصدح بالسعادة والمتعة والهناء ،وتوحي بالسعي الى الاستمتاع وتصف ما تتمتع به الباحة من رياض غناء وتبهج الروح وتسعد الفؤاد وترسل في النفس الطمأنينة والرضا .

وانظر الي تخيرها لألفاظها حين تذكر هويتها المتتوئمة مع الهموم

إذا مـــا ضَـــاقَتِ الـــدُنيا ... وتَـــــاقَ القلـــــبُ للراحـــــهْ

تَـــدَلَّلْ في الهـــوى طَرَبًـــا ... تَعَجَّـــــلْ واقصـــــدِ الباحـــــه

جنـــانُ اللهِ قـــد طَابَـــتْ ... بِعطـــــرِ الحُـــــبِّ فَوَّاحـــــه

وأزهـــــارٌ وأطيـــــارٌ ... بِشَـــــدْوِ السَّـــــعْدِ صـــــدَّاحه

فمـــا أبهـــاكِ مِـــنْ رَوْضٍ ... ومـــا أحـــلاكِ مـــن واحـــه(١)

---

١) واستمطرتك عشقًا ١١٩–١٢٠

الهَمُّ والحزنُ والآهات تعرفني والضيقُ والعُسْرُ والأنَّاتُ والألَمُ

أنا التي نَظَمَتْ آهاتِيَ الكَلِمُ وأنطقتْ كلماتي من به بَكَمُ

قد ضَاقَ صدري بأنَّاتِي وحُرْقَتِهَا فأيقظتْ زفراتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أسائلُ الليلَ هَلْ يُصْغِي لِمَظْلَمَتِي أهَلْ يعودُ زمانٌ كلُّه نِعَمُ (١١)

والأحزان ...وتقول :-

لقد قامت الشاعرة بمغامرة مع اللغة وهي تنسج خيوطها الفنية لهذه المقطوعة الشعرية حيث تجعل اللغة خاضعة لها ، لذلك تتخير المفردات اللغوية التي تتلاءم مع مقام تجربتها الشعرية والتي تعبر تعبيراً صادقاً عن مشاعرها الخاصة وتراكماتها الشعورية حيث تترجم الألفاظ عذابها وألمها وضيقها الشديد والتي توحي بهويتها الحزينة ، وتأخذ من التناص مع المتنبي سبيلاً لإظهار تلك المشاعر ومن تلك الألفاظ :-

(الهم – الحزن – الآهات – الضيق – العسر – الأنات – الألم – حسراتي – ضاق صدري – حرقتها – زفراتي – مظلمتي)

فالشاعرة في تلك القصيدة انتقت الألفاظ التي تعبر عن مناخها النفسي بدقة وبراعة ، واستقطبت الألفاظ التي تترجم عن هويتها .

---

[١]) تراتيل الروح في زمن الغربة ص ٩

ومن أهم السمات الأنثوية في اختيارها للألفاظ فقد لاحظت استخدامها للفعلين (تفتض و تفتق)بشكل ملفت –وقد أشرت الى ذلك سابقا– وخاصة في ديوانها (واستمطرتك عشقا) تقول :–

يفتـــــــــــــق نبضـــــــــــنا العـــــــــــاتي

ويفـــــــــــــــتض المســــــــــــــافات

وأســــــــــــــراب الحمامـــــــــــــات [١]

وتقول في قصيدتها (رحلة في مدينة غازي القصيبي)

أجـوب الشعر بالأفكار والصور وأغزو الوجد في الاصباح والسحر

أفَتّـِق وردها النـــوار تســبقني عذابـات الهـوي العـــذري في خفر[٢]

وفي قصيدتها (في مهب الذكريات)تقول :–

في هجعـــــــــــة العشـــــــــــق النضـــــــــــير

وبهجـــــــــــة الصـــــــــــمت المـــــــــــثير

[١] واستمطرتك عشقا ١٣

[٢] السابق ٢٨–٢٩

نجتـــــــــــــاح دُجْـــــــــــــنَ الطرقـــــــــــــات

نفـــــــــــــتض ليـــــــــــــل الحـــــــــــــدقات[١]

وتقول في مطلع قصيدة (توق):-

إنَّ الجمـــال تـــفتقت أزهـــــاره وانساب زهـو الحب في وجه حسن[٢]

حسن[٢]

وتقول في قصيدة (عناق الذكريات):-

نجـــوب الحـــبَّ اشـــراقا نـفـتـق ورده الـــــدفـــاق[٣]

وفي (ضجيج) تقول :

وافـتـضَّ صـمت الوالهين بدمعة منـــابة من قـدِّهـا المتـورد[٤]

وفي (الرسم الهامًا) تقول :-

يـفـتـق نبـــض احســـاسي ويكـــوني هـــويً عَطِر ا[٥]

---

[١] السابق ٦

[٢] السابق ٧٥

[٣] السابق ٩١

[٤] السابق ٩٥

[٥] السابق ١٠٠

وفي (سكر الحب) تقول :-

نسائم حبنا الوردي تـزين صـــبحنا الوضاء

تفتق عــذب قافية لأشـعار الهـــوى الشماء

وتفتض المسافات وذكرى الوصل والأصداء[١]

وفي (زهو السلاطين) تقول :-

تفتــق الوجـد والأشـواق عابقـة تفتق الورد مـا بـين الريـاحين [٢]

وفي (يوم بكل الزمان) تقول :-

واصــطفت الأشــواق ســربا حالمــا يفـتض صـمت العاشـقين الأول [٣]

وحينما تكتب للأطفال في ديوانها أغاريد البلابل نجدها تتخير الألفاظ البسيطة و السهلة التي لا يصعب على الأطفال فهمها مراعاة للمتلقي ، ففي أنشودتها (بلادي) وتكتب بلغة تتناسب مع الأطفال ...تقول :-

---

[١] السابق ١٢١

[٢] السابق ١٢٤

[٣] السابق ١٢٧

يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي أنـــت يـــا نـــبض الفـــؤاد

فيـــك أحلـــى ذكريـــاتي فيـــك حققـــت مـــرادي

وعلـــى أرضـــك عاشـــوا رُســـلُ خـــيرِ العبـــاد

لا تلمـــــني في هواهـــــا انهـــــا دار الجهـــــاد

إنهـــا الجنـــة تزهـــو في وهـــاد ونجـــاد

فـــإذا مـــا غبـــت عنهـــا طـــال في البعـــد ســـهادي

في بواديهـــا أمـــان وبهـــا يحلـــو رقـــادي

أبقهـــا يـــا رب عمـــرًا واكفهـــا شـــر الأعـــادي(١)

فلا تجد كلمة صعبة الفهم ولا متقعرة ولا صعبة النطق ،بل الكلمات والعبارات مناسبة تماما للأطفال ومتوافقة مع ما سيقت القصيدة من أجله .

وخلال ما عرضناه من ألفاظ على سبيل المثال لا الحصر نجد أن الشاعرة صاحبة صياغة شعرية قوية تتمثل في اختيارها وانتقائها الألفاظ الدالة الموحية ، والعبارات المعبرة ، بحيث يكون هناك تلاؤم بين اللفظ والمعنى وتلاؤم بين اللفظ والحالة النفسية والوجدانية للشاعرة .

---

١) أغاريد البلابل ١٦

وكما رأيت فإنَّ القاموس اللغوي لدى الشاعرة يميل إلى الجزالة والأصالة والفخامة ،وربما تلجأ كثيرًا إلى الألفاظ الشاعرة ذات الجرس الموسيقي الخاص والتي تبدو صعبة أو غريبة أحيانا ، ولكنها تحمل ذلك الجرس الرائع والوقع اللافت ،فاعتدال قارئة متميزة للتراث الشعري وتحمل قاموسًا لفظيًّا مميزا وتملك القدرة الفائقة على توظيف تلك المفردات بشكل يحقق لها ما تريده من وقع رائع في أذن المتلقي تجعله يتيه طربًا بما يسمع.

بذلك استطاعت اعتدال الذكر الله أن تستقطب الألفاظ التي تترجم عذابها وألمها وضيقها وحبها وغرامها وتواكب حالتها النفسية وآلامها الروحية حيث تحمل هذه الألفاظ شحنة انفعالية تفجرها بوضعها في السياق الملائم لها .

المبحث الثاني

الثنائيات الضدية

جاء التضاد عند القدماء العرب بمعاني متعددة فمنهم من عد التضاد نوعاً من أنواع الاشتراك اللفظي (١) ومنهم من قال " هو عبارة عن كلمة واحدة ذات معنيين " يصل الخلاف بينهما إلى حد التناقض . كقولهم باع بمعنى باع واشترى (٢) ومنهم من عد التضاد من المقابلة : " وهي أي يؤتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب ... (٣) أو هي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة (٤)

والتضاد يعمل على متابعة النص ، وما يتشكل عنه من علاقات ، يتحرك في تواتر متجاذب وكأنه شبكة تتابع خيوطها ، وتتبادل مواقعها وتتشابك

---

[١] السيوطي : عبدا لرحمن جلال الدين ، ١٩٥٨ ، المزهر في علوم اللغة تحقيق محمد أحمد جاد الله المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، القاهرة ، ٣٨٧/١ وعصام شريح الظواهر الأسلوبية في شعر جبل البدوي مشورات اتحاد الكتاب العرب ط ٢٠٠٥ ص ٤٥

[٢] عبدا لباقي ضاحي ، ١٩٨٥ . لغة تميم دراسة تاريخية وصفية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مجمع اللغة العربية القاهرة ص ٥٩٦ ، وعصام رشح ص ٤٥

[٣] القز ويني الخطيب ، ١٩٨٥ . الإيضاح في علوم البلاغة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط ١ / ٣٥٣

[٤] القز ويني الخطيب ، ١٩٨٥ . الإيضاح في علوم البلاغة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط ١ / ٣٨٧

تطريزاتها على جسد النص . كما تقوم الأضواء بدور مهم فعال في تأسيس الوجه الأهم في البنية الحركية في النص .(١)

" فمع التضاد يمكن أن يحدث تفاعل وامتزاج" أما المواقف المتضادة فمن النادر أن تكون مواقف شعرية صالحة للنمو ، وذلك لما يتضح للمتأمل من أن جذور الموقفين المتقابلين واحدة في العمق ، في حين أن التضاد ترفض فيه العناصر بعضها بعضاً ، كما يرفض الجسد الأعضاء الغريبة عنه(٢) .

وترجع فكرة التقابلات الثنائية المتعارضة في العصر الحديث إلى "ليفي شتراوس" ، إذ شغلت باله ، وسيطرت على جميع أبحاثه ، فيما أسماه بالطبيعة والحضارة بمعنى أنه انتقل من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية بمجرد أنه أدرك ، وظل "ليفي شتراوس" يبحث في كل مناحي الحياة ، يهدف الوصول إلى بناء فكر الإنسان ، من خلال تعامله مع الأشياء والكون والحياة ، وصولاً إلى أن التعارضات الثنائية ، هي التي تدفع الإنسان إلى إيجاد حل متوازن بينهما (٣) .

---

[١] عصام شريح " ص ٤٦

[٢] الربيعي محمود ١٩٨٥ . لغة الشعر نموذج تطبيقي ، مجلة فصول ع ٤ ، مج ١ ص ٧١ وعصام رشتح ص ٤٦

[٣] السعدي مصطفى ، ١٩٨٧ ، المدخل اللغوي في نقد الشعر " قراءة بنبوية " مطبعة منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٤١

ولقد تنوعت الثنائيات الضدية في شعر اعتدال فجاءت بين الاسم والاسم والفعل و الفعل والاسم والفعل ونجد ذلك في كثير من شعرها، من ذلك قولها في وصف ابنتها حوراء :-

حـــوراء أنـــت المنـــى والمبتغـــى يا شمعة النور في ليلي الثمل ([1])

فقابلت بين شمعة النور والليل الثمل حيث أضفت المقابلة والتضاد بعداً للصورة زادها ايضاحًا وإشراقًا .

وقابلت بين جفاف الزهور ورُطوبة الأغصان والتضاد محرك للذهن والفكر لتوضيح الصورة تقول :-

فقـــــد جَفَّـــتْ أزاهيـــرِي ومـــا في غصـــنها الرطـــب ([2])

ومثل ذلك قولها :-

أرويـــتني حبًـــا إذا مـــا انتشـــى من بعد ما قد جفَّ غصني في يدي ([3])

([4])

---

[1] تراتيل الروح في زمن الغربة ٢٤

[2]) السابق ٢٧

[3]) السابق ٣٣

وجمعت بين الأمس والغد فقالت :-

مـالي سـواها في حيـاة أقسـمتْ تُفني قوايا بين أمسي وغدي ([1])

وتجمع بين الحلم والغفوة وبين العشق والنزوة والتساؤل جعل الصورة تنبئ عن الحيرة والقلق والتخبط مما نقل للمتلقي ذاك الإحساس بالحيرة تقول :-

أفي حلـــم أنـــا أم تلـــك غفـــوة أفي عشـــق أنـــا أم تلـــك نـــزوة؟([2])

وتجمع بين الشباب والشيب في أكثر من موضع منها قولها :-

شـــبابي لا أرى فيـــه ســـرورًا بشـــيبي ربمـــا تزهـــو مَنَايـــا

هنيئـــا لـــي بشـــيبي لا شـــبابي ويـــا أهـــلاً فخـــذ مـــني صـــبايا([3])

---

[1]) السابق ٣٥

[2])السابق ٣٩

[3])تراتيل الروح في زمن الغربة ٤١

وتجمع بين الداء والدواء لتؤكد المعنى وتوضحه تقول :-

وهـــبني قلـــت ذاك العشـــق داء أيعمى العاشقون عن الدواء([1])

وتجمع بين الإصباح والسحر وتنشد :-

أجـــوب الشـــعر بالأفكـــار والصـــور وأغزو الوجد في الاصباح والسحر([2])

والسحر([2])

ومثله قولها :-

صـــــباحي مثلمـــــا ليلـــــي وأمضـــي اليـــوم في نكـــد ([3])

وتجمع بين السُّجَّدِ والرَّكع وسر جماله أنه يعطي جمالاً للصورة ويعتمد فيها على الفكر والحس في قولها :-

---

[1]) ديوان وأينعت الأشواق ٣٢

[2]) واستمطرتك عشقا ٢٧

[3]) السابق ٨٩

تفـــتر بـــالأفلاك عمـــرًا ســـرمديًّا مـــن سُـــجَّدٍ بـــين المقـــام وركَّـــعِ (١)

وبين الأبيض والأسود والذي يعطي جمالاً للصورة حين يرسمها بألوان توضح جوانبها وذلك في قولها :-

نسـجَ الحبيـبُ بهـا الكـلامَ متيمـاً فـابْيَضَّ كـلُّ ظـلامِ ليـلٍ أسـود(٢)

فكل تلك الثنائيات الضدية جاءت لتؤكد المنعى وتوضحه

---

١) واستمطرتك عشقا ٥٧

٢) السابق ٩٥

المبحث الثالث

التكرار ووظيفته الشعرية

يعرف الدكتور عصام شريح التكرار بأنه : " إلحاح على جهة هامة من العبارة " يُعْنَى بها الشاعر أكثر من عناية بسواها ، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيمة ، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس النص ، ويحلل نفسية كاتبه ، إذ يضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على الشاعر (١) .

وبين الدكتور محمد مفتاح عندما يتحدث عن التكرار أن تكرار الأصوات والكلمات والتراكيب ليست ضرورياً لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية والتداولية ، ولكنه " شرط كمال " أو " محسن أو " لعب لغوي " ثم يقول ومع ذلك فإن التكرار يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية " (٢)

والتكرار في الشعر يعمل على التأثير في الوجدان وتطريب السماع وسرد النفس حيث إن " الإتيان بعناصر متماثلة " في مواضع مختلفة من العمل الفني ، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره فنجده بالموسيقا بطبيعة الحال ، كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر ، وسر نجاح الكثير من

---

[١] لعصام شريح . الخصائص الأسلوبية في شعر بدوي الجبل منشورات اتحاد الكتاب العربي ٢٠٠٥ ص ٩

[٢] مفتاح محمد ١٩٩٢ ، الخطاب الشعري " إستراتيجية التناص " المركز الثقافي العربي ط ٣ ص ٣٩

المحسنات البديعية كما هو الحال في العكس والتفريق والجمع مع التفريق ورد العجز على الصدر في علم البديع العربي (١) .

والتكرار له أهمية كبيرة في العمل الشعري وفي عملية الإيقاع وظاهر التكرار أسهمت في تثبيت إيقاع القصيدة العربية وتسويغ الاتكاء عليه مرتكزاً صوتياً يشعر الأذن بالانسجام والتوافق والقبول (٢)

والموسيقا في القصيدة العربية لم نعد نجد شرط تولدها فقط في الأوزان المعروفة أو في وزن ما معين ، بل نجد شرط تولدها أيضاً وربما بشكل أفضل في تقطيعها وفي توازنات لا متناهية ، نجده في التقابل والتشاكل ، في التكرار على أنواعه : التكرار بحروف بذاتها أو الكلمات ، والذي هو تكرار لأصوات ، لمسافات زمنية لغوية ، وقد يكون اللفظ كما قد يكون المعنى هو حدود هذه المسافات أو فاصلتها (٣).

والتكرار عند اعتدال الذكر الله لعب دوراً كبيراً في توصيل التجربة الانفعالية التي شكَّلهتا الشاعرة وأصبح عنصراً فعالاً في القصيدة عند الشاعرة فحين تصب اهتمامها على اسم معين وتجعله النقطة المركزية التي تتمحور

---

[١] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ١١٧ ، ١١٨

[٢] عبد الرضا علي : الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب بحث مقدم إلى مهرجان المربد العاشر ١٩٨٩/٥

[٣] د. يمني العيد ، في القول الشعري ، دار توبقال للنشر ط ، ١٩٨٧ م الرباط صـ ١٧ ، ١٨

حولها القصيدة فان لذلك دلالات معنوية أرادت الشاعرة أن تؤكدها في نفوس المتلقين لشعرها .

وللتكرار ألوان كثيرة وتجليات مختلفة عند اعتدال نذكر منها :-

١- التكرار الاستهلالي :

وهو تكرار كلمة واحدة ؟ أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية ، ووظيفة هذا التكرار التأكيد والتنبيه وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد ، لمشاركة الشاعر إحساسه ونبضه الشعري (١) .

وهذا النوع من التكرار يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بنية منسقة ، إذ إن كل تكرار من هذا النوع قادر على تجسيد الإحساس بالتسلسل والتتابع . وهذا التتابع الشكلي يعين على إثارة السامع ، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزاً لسماع الشاعر والانتباه إليه (٢) .

من ذلك التكرار قولها في قصيدة (يا فلول الغدر):-

فـــآهٍ مـــن يهـــود قـــد أغـــارت علـــى قدســـي فعاثـــت في رباهـــا

فـــآهٍ مـــن رجـــال مـــا رعوهـــا ولا نالوا بســـيف من غزاها (٣)

---

[١] ينظر ابن الشيخ ، جمال الدين ، الشعرية العربية ص ٩١٥ تحت مصطلح التراكم أو كتاب ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الحبل ص ١٠

[٢] رباعية موسى التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية ص ١٥

[٣]) تراتيل الروح في زمن الغربة ٢٠

فكررت الشاعرة اعتدال لفظ (آهٍ) لتعبر عن الألم الذي أصابها وتؤكد على الحرقة التي بداخلها .وفي ذات القصيدة تعيد وتكرر لفظ (مهلا) في ثلاثة أبيات متتالية لتؤكد أن الوعد قادم وأن النصر آتٍ وما هي إلا أيام تدال ويتحقق وعد الله ....تقول :-

فمهلاً يا بني صهيون مهلاً فقدسي لن تنالوا من ضياها

ومهلاً يا فلول الغدر مهلاً فقدسي سوف تسمو في علاها

ومهلاً يا طغاة الأرض مهلاً فقدسي سوف تزهو في رباها (١)

فقد أعادت لفظة (مهلا) في بداية الشطر الأول ونهايته في ثلاثة أبيات ، كما أعادت اسم المدينة المقدسة (القدس) مضافة الى ياء المتكلم ثلاث مرات في بداية الشطر الثاني وذلك لتكد على أهميتها للمسلمين والإضافة لياء المتكلم لتؤكد ملكية العرب و المسلمين للمدينة منذ القدم وأنها تعيش بداخلها وتتربع في فؤادها.

أحيّي القبة الخضراء أحيّي نورها الأزهر

أحيّي طيبة الغرّا وذا المحراب والمنبر

أحيِّي بقعة فاحت بعطر المسك والعنبر

---

١) السابق نفسه

أُحيِّـــي روضـــة طابـــت بـــذكر المصـــطفى الأطهـــر

أحيّـــي أحمـــد الهـــادي أُحيّـــي المرقـــد الأنـــور

أُحيّـــي صـــاحب الإســـرا لـــه القـــرآن و الكـــوثر

أُحيّـــي الرحمـــة المهـــداة بهـــا القـــرآن قـــد بشَّـــر(١)

وفي قصيدتها (تحية للقبة الخضراء) تستهلها بالفعل (أُحَيِّي)في سبعة أبيات متتالية وتكرار التحية اجلالا وتوقيرا وخشوعا لتلك القبة المهيبة وصاحبها أكرم خلق الله والروضة التي هي من الجنة ومنبر الرسول ومحرابه والمدينة المباركة ... تقول :-

وحيث الوطن يسكن في قلبها ويتغلغل في روحها تغني له أغنية(ورد الثقافة) وتكرر كلمة (وطني) بالإضافة الى ياء المتكلم في ثلاثة أبيات متتالية تؤكد فيها أنه وطن القداسة والنبوة والضياء الجليل والحنين المستبد بلوعة قدسية الخفقات .... تقول :-

وطني القداسة والنبوة هبْ لنا أمـل الكرامـة في مـداها الأرفـع

وطـني الضـياء المشـرئب جلالـه في الخـافقين زهـا لنـا بتضـوع

وطـني الحـنين المسـتبد بلوعـةٍ قدسـية الخـفقات لم تتمنَّـع(١)

---

١) وأينعت الأشواق ٧

٢- التكرار الهندسي : (٢)

هو تكرار قائم على الشكل الخارجي للنص الشعري ، إذ يقوم الشاعر بتكرار كلمة ، أو عبارة تخضع لنوع من الهندسة اللفظية الدقيقة ، ويهدف من ورائها إلى أن يوجه القصيدة في اتجاه معين ، أو التأكيد لموقف ما (٣) ، العبارة المكررة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية ، تغني الشاعر عن الإيضاح المباشر ، وتصل القارئ بمدى كثافة الذروة العاطفية عنده (٤)

من أنواع التكرار الهندسي التي ظهرت في شعر اعتدال الذكر الله

- **التكرار الدائري**

وهو لون من ألوان التكرار ، إذ يقوم الشاعر بتكرار كلمة تحمل عنوان القصيدة ، وتشكل حركة دائرية ، لها في سياقها الممتد تفرد وتميز ، بحيث يؤدِّي تكرارها في نهاية كل مقطع شعري إلى تدفق موجة انفعالية ، تكسر حاجز الرتابة والانفلاق ، وتؤدي إلى تناسق النص في صورته المشكلة على خارطة الأداء.. ومن هنا فإن التكرار الدائري للكلمة ، يؤدي إلى تكثيف

---

[١] (واستمطرتك عشقا ٥٧

[٢] انظر عبد المطلب : البلاغة الأسلوبية ص ٢٩٨

[٣] عصام شرتح الظواهر الأسلوبية في شعر بدوي الجبل ص ٢٩

[٤] السيد علي عز الدين : التكرير بين المثير والتأثير ص ٢٩٨

الدلالات ، وتشكيل حركة تتابعية ، تعني بنية النص الشعري على الصعيدين الدلالي واللفظي معاً(١).

ومن ذلك قصيدتها (رناد القلب) والتي أنشدتها في الطفلة رناد محمد الخلف ...تقول فيها

رنـــاد القلـب مـا ابهـى رؤاهـا شـــذا الأزهـار مـا ابهـى شـذاها

رنـــاد حـلوة العيـنين تزهـو كنجـم قـد أضـاء ومـن سـناها

رنـــاد رتلـي حبِّـــي بلحـــن لتنسـى الـروح مـا فيـه أذاهـا

أيـا تفـاحة الخديـــن غنِّـــي أغـاني السـعد ولتهـنأ شـفاها

رنـاد مـا أحيلـى الـوجه إنـي أتـوق لـرؤية ضـاهت حـلاها

وأنـت الحسـن قـد ناجيـت فيـكِ جمـال الشِّـعر سِـحرًا لا يضـاهى(٢

ومن هذا النوع من التكرار أيضاً قصيدتها المعنونة (ترنيمة لبلبل الرَّوض) وفيها تقيم التكرار على لفظ البلبل وتكرره في عدة مقاطع لتلح على الفكرة وتأكدها .... تقول :-

---

[١] عصام شرتح الظواهر الأسلوبية في شعر بدوي الجبل ص ٢٩

[٢])وأينعت الأشواق ٢٩

أيَّـــــها البلبـــــل غـــــرد واطـــــرب الـــــروح الحزينـــــهْ

أيـــــــــها البلبـــــــــل ردد لحـــــــن آلامـــــي الدفـــــينه

بلبلـــــي للقلـــــب فاصـــــدح ربمـــــا ينســـــى شـــــجونه([1])

ومن ذلك أيضاً قولها :-

صـــــباح الخـــــير يـــــا أمـــــي صبـــــاح طـــــاب بالنـــــجح

صـــــــباح مشـــــرق غنَّـــــى بلحـــــن الحـــــبِّ والصـــــفح

جمـــــال الصـــــبح في عملـــــي وفي وجـــــدي وفي كـــــدحي([2])

٣- التكرار البياني :

هو التكرار الذي يأتي لرسم صورة ، أو لتأكيد كلمة أو عبارة تتكرر دائماً في القصيدة . وقد يمتد هذا التكرار ليشمل بيتين متتاليين . والغرض العام منه هو إثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة ، لخلق ما يُسمى

[1])تراتيل الروح في زمن الغربة ٥٥

[2])أغاريد البلابل ٤

لحظة الشعوري أو لحظة التوافق الشعوري بين المبدع والمتلقي ، سواء أكان هذا التكرار في بداية القصيدة أم وسطها أم نهايتها (١) .

وقد استخدمت الشاعرة اعتدال الذكر الله هذا التكرار لتشكل إيقاعاً موسيقياً ، قادراً على نقل التجربة الشعورية إلى المتلقي ليتفاعل بشكل معين ، وكُلٌ يختار الأسلوب الذي يتناسب مع موقفه ، ويستطيع من خلاله نقل إحساسه عبر مؤشرات ، تنبئ بحدث أو موقف بعين .

وقد جاء التكرار البياني في شعر اعتدال ومن ذلك حين تكرر الفعل (ناغي) الذي تخاطب به طفلتها (حوراء)وتكرر اسمها وهي في مهدها ولا تنطق بكلمة وإنما أصوات مناغاة بسيطة ، تلك الأصوات – عند اعتدال – تساوي الدنيا وما فيها ولا تريدها أن تتوقف عن هذا الصوت الذي يبعث في نفسها السعادة والهناء فتطلب تكرار المناغاة ....تقول :-

حـــوراء نـــاغي لا تكـــفي انـنـــي ... عطشـــي ولـن أروى هـل نـاغيتني

نـاغي ونـاغي يـا حيـاتي حلـوتي ... مغناك يا صُغري أرى لم يكفني

ألحان دهـــري مثـل نجـواك الجلـي ... أرجـــوك يا حـوراء غنِّي لغنِّني

أوتـــار قلـبي راقصـت وجـــدانيا ... واهتـز صـدري واسـتكانت أركـني

"نونـو" علـى مهـلٍ أنـادي فـاسمعي ... هيَّـا إلى قلبي تعالى واسكني (٢)

---

[١] عصام شريح ، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل ص ١٦

(١)

وفي قصيدتها (خربشات العشق)حيث العشق هو محور القصيدة وغايتها وبدايتها ونهايتها وفي أغلب أبياتها تذكر لفظ العشق بتصاريفه المتعددة ليبقى العشق دائمًا ماثلاً أمام العيان وحاضرًا في السمع ومستقرًا في القلب من تلك الأبيات قولها :-

خربشات العشق صغناها انتشاءً ورسمناها احتراقات عشيا

وقولها :-

شهوة العشق استفاقت واستبدت واستطال الشوق قلبًا عنجهيا

وقولها :

ونفثنا العشق سِحرا في كِلينا وارتأينا السِّحر حِرْزًا ورقيَّا

وقولها :-

إنني الأنثى التي صاغت رؤاها من شجى العشاق حلمًا جوهريا

وقولها :-

نُسْكِرُ الأزمان عشقًا سائغا ربَّما حنت وصار القلب شيَّا

---

[١])تراتيل الروح في زمن الغربة ٦٣

وقولها :-

إننـــا العشـــاق عشـــنا عشـــقنا في دســاتير الهــوى حزبًــأ شــقيّا

لعنــة العشــق اســتبدتْ في خطانــا وتمــاهى الــتعس بهتـــانا وغيًّــا

ونخطـــُّ العشـــقّ آيـــاتِ الصِّـــبا يوم كان السهد عرفًا شاعريًّا

وقولها :-

فـــإذا الآفـــاق منَّـــا نســـجتْ قصـــةَ العشـــاقِ إبـــداعًا ســـويًّا(١)

---

١)واستمطرتك عشقًا ٣٧-٣٩

المبحث الرابع

التناص

التناص في معناه البسيط : هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثراً مع نص القصيدة الأصلي بحيث تكون منسجمة ودالة على الفكرة التي يطرحها الشاعر .

وهو أيضًا ملاحظة القارئ لعلاقات ما بين عمل أدبي وأعمال أخرى سابقة وهو إحياء أو استدعاء نص أو عدة نصوص سابقة في نص لاحق وهذا الاستدعاء يمكن أن يكون منه جزئياً أو كلياً .

والتناص :" مصطلح من المصطلحات المستحدثة التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقدي ، وخاصة بعد استعاضة الحديث عن الثنائية والأسلوبية ، وما قدماه من جديد سواء على مستوى الإبداع أو مستوى التفسير ، وقد أصبح هذا المصطلح أداة كشفية صالحة للتعامل مع النص القديم والجديد على سواء (١) .

وقد عرفت هذه الظاهرة بشكل أو بآخر في التاريخ الأدبي لكل أدب تحت مسميات أخرى كالسرقات ، والاقتباس ، والاستشهاد ، والتضمن وربما التقليد وكذلك المعارضة (٢) .

---

[١] محمد عبد المطلب عن ظاهرة التناص ، قضايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني ط لونجمان ١٩٩٥ص ١٣٦

[٢] محمد فكري الجزار لسانيات الاختلاف الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسة كتابات نقدية ١٩٩٥ص ٤٥٩ أو أحمد عبدا لمجيد خليفة ديوان الابنودي ٢٠٠١ص ٤٦

وظاهرة التناص من الظواهر التي ظهرت في شعر (اعتدال الذكر الله) حيث إنها وظفت ما اكتنزته من ثقافات عبر التناص الذي يسلسل التفكير الإنساني ويجعل صفة التواصل بارزة بين النصوص في عصورها المختلفة .

وظفت اعتدال التناص في شعرها بصور متعددة ، فهناك إشارة إلى شخصية ما بهدف استدراج مشاركة القارئ أو استدعائها ، وهناك الاغتراف الصريح سواء من نصوص دينية أو أدبية أو شخصيات وتتمثل مصادر التناص لديها في التناص الديني ، والتراث الإنساني .

أولاً : التناص الديني :

يشكل التناص الديني محورًا رئيسًا في تناص الشاعرة ، إذ يُعدُّ من أكثر المصادر التي استقت منها الشاعرة نصوصها نظرا لثقافتها الدينية التي تسكن في أعماقها ووجودها في بلد دستوره الشريعة .

فضمن قصائدها مجموعة معطيات تستقى فيها عدداً من المواقف التي تخدم فكرتها وهدفها الذي تريد إيصاله إلى المتلقي أوالقارئ أو الناقد ، فينعكس من خلال وعيها بهذا التراث ويشمل القرآن والحديث الشريف

- التناص من القرآن الكريم .

يعد النص القرآني المصدر الأول الذي ينهل منه أغلب الشعراء المسلمين تناصهم ، وقد حفل شعر اعتدال بعدد كبير من التناص القرآني ، تسعى الشاعرة من خلاله إلى نشر عبق النور القرآني ، فتميل للاتكاء على الإشعاعات التي تحملها إيحاءات الدلالة للفظة القرآنية .

من ذلك التناص قولها في قصيدة (عروس الفِكر)والتي أنشدتها بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية سنة ٢٠٠٥ م :-

بين أصحاب المعالي فانتقوها بين حورٍ قاصراتِ الطَّرْفِ عِيْنْ(١)

فالبيت به تناص مع الآية الكريمة في سورة الصافات في قوله تعالى:-

((وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون))(٢)

فالشاعرة أخذت الألفاظ الثلاثة المتتالية بنفس الترتيب من الآية الكريمة.

وفي قولها :-

اعترفْ في عرفاتِ اللهِ صِدقًا واستعذْ باللهِ مِنْ كيدِ اللعِينِ (٣)

تناص مع الآية الكريمة من قوله تعالى :- ((وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم))(٤)وفي قولها :-

ديار المصطفى بانت وضوء الفجر قد أسفر(٥)

---

١) وأينعت الأشواق ص ٥

٢) سورة الصافات آية ٤٨-٤٩

٣) وأينعت الأشواق ٦

٤) سورة الأعراف ٢٠٠

٥) وأينعت الأشواق ٧

تناص مع قوله تعالى ((والصبح إذا أسفر))([١]) وفي قولها :-

رتلـــوا الســـبع المثـــاني رددوا الله أكـــــــبر([٢])

تناص مع قوله تعالى ((ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم))([٣])

وفي قولها :-

واكْفنـــا نـــارًا تلظـــى كـــل حـــين تتـــزود([٤])

الشطر الأول تناص مع قوله تعالى ((فأنذرتكم نارًا تلظى))([٥]) والشطر والشطر الثاني تناص مع قوله تعالى ((فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا))([٦]) وفي قولها:-

بـــين أصـــناف البرايـــا صـــحف الأعمـــال تنشـــر([٧])

---

[١])سورة المدثر ٣٤

[٢])وأينعت الأشواق ١٠

[٣]) سورة الحجر ٨٧

[٤])واينعت الاشواق ١٠

[٥]) سورة الليل ١٤

[٦]) سورة النبأ ٣٠

[٧]) وأينعت الأشواق ٢٢

تناص مع قوله تعالى ((وإذا الصُّحُفُ نُشِرَت))([1]) وفي قولها :-

ورحمـــــةُ ربِّنـــــا وَســـــعَتْ نفـــــوسَ الخَلْـــــقِ بـــــالمنِ ([2])

تناص مع قوله تعالى((وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ))(٣)

وفي قولها :-

فَمَـــنْ تَبِـــعَ الهُـــدَى فَنَجَـــى بِفَـــوزٍ في رُبَـــى عَـــدَنِ ([4])

تناص مع قوله تعالى ((قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى))([5])

وفي قولها :-

مِنْ قَابِ قَوسَينِ أو أدْنَى سَنُدْمِجُها رُوحَ الحِجَاز هوىً في رُوحِ احْساءِ([1])

احْساءِ([1])

---

[1])سورة التكوير ١٠

[2])وأينعت الأشواق ٢٢

[3]) سورة الأعراف ١٥٦

[4])وأينعت الاشواق ٢٦

[5]) سورة طه ١٢٣

تناص مع قوله تعالى ((فَكَانَ قَابَ قَوْسَينِ أَو أَدْنَى))([٢])

وفي قولها :-

يَـــومَ يُـــدعَى كُـــلَّ قَـــومٍ بإمَـــامٍ قَـــدْ أفَـــاد ([٣])

صـــحفُ الأعمـــال طـــارت بيـــن أنظـــار العبـــاد

فالبيت تناص مع قوله تعالى ((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا))([٤])

وفي قولها :-

أقســمتُ بــالقَلَمِ المُــبينِ ونُونِــه سَـأظَلُ أحملـكِ الحَيـاةَ بـأذْرُعِي([٥])

تناص مع قوله تعالى :- ((ن والقلم وما يسطرون))([٦])

- التناص من الحديث النبوي الشريف :

---

[١])وأينعت الأشواق ٣٢

[٢]) سورة النجم ٩

[٣]) وأينعت الأشواق ٤٥

[٤]) سورة الاسراء ٧١

[٥])واستمطرتك عشقًا ٥٧

[٦])سورة القلم ١-٢

تتجه الشاعرة للحديث النبوي الشريف لما فيه من الإشعاعات الربانية ، مما يساعد في إثراء الدلالة ، ومنح طاقة تعبيرية تتناسب والموقف الذي تحياه ، وتعبر عنه ، ولقد نسجت تناصها بأسلوبها مما أكسبه انسجاماً وتوافق مع بنية النص .

فمن التناص من الحديث النبوي الشريف قولها :-

هَـــادمَ اللـــذاتِ فـــاذْكُرْ وَحشَـــةَ القـــبرِ تَصَـــوَّرْ(١)

تطلب أن يتذكر الانسان هادم اللذات ومفرق الجماعات ، انه الموت الذي يهدم كل لذة ويفرق كل جمع ، وتطلب أيضًا أن يتصور الانسان وحشة القبر ووحدته وظلمته حتي يعمل لحياته الأخرى ولا يغتر بدنياه الفانية ، والأبيات تناص مع قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((أكثروا من ذكر هادم اللذات))(٢)

ومن التناص مع الحديث الشريف أيضا قولها :-

زَكِ أمـــوال المســـاعي وتـــدق وادفـــع الضـــرَّ(٣)

---

١) وأينعت الاشواق ٢٢

٢) رواه الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان

٣)وأينعت الاشواق ٢٣

تطلب من كل مسلم أن يزكي أمواله وأن يتصدق منها ، فبالزكاة يزيد المال ولا ينقص وبالصدقة تدفع الضرَّ عنك ، وما ذلك إلا حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ((حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة))([1])

ومن ذلك قولها :-

وجهـــــادُ الـــــنفسِ صـــــعبٌ فَـــــأعِنِّي يـــــا جَـــــوادُ([2])

انها تقرر أن جهاد النفس أصعب ما يكون ، فربما تجاهد غيرك إن أراد أن يسوقك إلى خير أو شرٍّ ويسهل عليك ذلك أما النفس الأمارة بالسُّوء فصوتها هو أعلى صوت ،وجهاد رغبات النفس وهواها هو أعظم الجهاد ،ولعل ذلك هو قول النبي – صلى الله عليه وسلم – بعدما عاد و أصحابه من إحدى الغزوات ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : مجاهدة العبد هواه))([3])

---

١) هذا حديث له طرق بعضها ضعيف جداً بل منكر كالطريق التي انفرد بها موسى بن عمير

وله طريق قابل للتحسين كطريق الحسن ، وحديث أبي أمامة رضى الله عنه، وقد حسنه الشيخ أبو عبد الرحمن ناصر الدين الألباني

٢)وأينعت الأشواق ٤٥

٣)رواه البيهقي بسند ضعيف

- **التناص مع التراث الإنساني :**

التناص من التراث العربي لدى اعتدال الذكر الله صور مختلفة ، فمن تناص اسم يمثل لدى المتلقي بعداً تراثياً ، إلى تناص قول يحمل تجربة تضاف إلى تجربة الشاعرة .

أ- التناص باستدعاء الشخصية :

يهدف التناص باستدعاء الشخصية ذات البعد التاريخي والفكري إلى أن يؤدي دوراً محدداً في إنتاج الشاعر ، سواء كانت الشخصية تتشابه في موقفها مع الموقف الحاضر .

ويتم استدعاء الشخصية بالوسائل الآتية : -

١-استدعاء الشخصية باسمها

ومن ذلك قولها :-

بِـــــلالٌ هَـــــا هُنـــــا أذَّن وعَمَّـــــارُ التُّقَـــــى كَبَّـــــرْ(١)

ففي مدينة رسول الله كم أذَّن بلال وعبَّقَ بصوته المكان ، وكم كبَّر عمار وصدح بصوته في جنبات مدينة رسول الله ،وهنا تستدعي اعتدال الشخصيتين باسميهما (بلال وعمار)وربما كان لذلك أسباب منها :-

أنهما أكثر من عُذِّبَا في سنوات الإسلام الأولى بمكة

---

١) وأينعت الأشواق ٧

وأنهما كانا من العبيد فرفع الله قدرهما بالإسلام وصارا مثالين لمن منَّ الله عليه بنعمة الإسلام فحفظها ووعاها فأصبحا بعد ذلك من أعلى الأصوات التي ترتفع بذكر الله والشهادة والدعوة للصلاة والفلاح .

ومن ذلك قولها :-

وأرْضٍ لِبَلْقِيسَ ضَجَّتْ أَسَىً تُنادِيكَ شَجْوًا بِحُزنٍ تَئِنْ

وبَاتَتْ بصنعاءَ تَبكي الأُلوفُ عليكَ وتبكي القَنَا فِي عَدَنْ

يَا هُدهُدَ العُربِ هل جئتنا ؟ أبأخبار بلقيس أوذي يزن([1])

تذكر ملكة اليمن القديمة (بلقيس)و(ذي يزن)ومدينة(صنعاء) في إشارة إلى تاريخ هذا البلد الضارب في أعماق التاريخ بحضارته ووتواجده في التاريخ الإنساني في دلالة على حزن الجميع لفقد هدهد العرب الشاعر الكبير (عبد الله البردوني)وكأن التاريخ والبشر ينعيان هذا الشاعر الكبير، وأيضا دلالة على أن ذكره سيظل محفورًا في ذاكرة التاريخ كما حفظ ذكر السابقين من أبناء هذا البلد العظيم .

وفي قصيدتها (عشق هجري)تتألق في حب مدينتها الأحساء بأنشودة رائعة وتستدعي شخوصًا بعينها و تقول :-

---

[1]) واستمطرتك عشقا ٧٢-٧٣

يـا أم طرفـة(١)والمثقـب(٢)إننـي وابـن المُقَـرَّبِ(٣)بـالمُنى جـئناك
طرفـة(١)والمثقـب(٢)إننـي

ابنُ المقربِ قد تبسَّمَ ضاحكًا والنَّشْـرُ عَطَّـرَهُ كَفَـرْعِ أراكِ

هَذِي تُمَاضُرُكِ(٤) الجميلةُ قد أتَتْ تَشْـدُو القَصِـيدَ وتَشْـتَهِي لُقْيَـاكِ

أم طرفة والمثقب وابن المقرب والخنساء كلها شخصيات أحسائية نبتت على أرض تلك البلدة الرائعة فرفعت ذكرها وأبقت أثرها ، دلالة على أنها مدينة ولَّادة للشعراء الكبار على مر التاريخ ،و أيضا فيه حَثٌّ على أن يبقى المبدعون على ذات المنوال من رفع اسم مدينتهم عاليًا خفاقا وسط ساحات الإبداع والتألق .

- **التناص مع الموروث الأدبي :**

الهمُّ والحزنُ والآهـات تعـرقني والضـيق والعسْـرُ والأنَّـات والألمُ

أن الـتي نظمـت آهـاتي الكلـم وأنطقـتْ حسـراتي مـن بـه بكـمُ

---

[١]) طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي الأحسائي

[٢])ابن المثقب "الشاعر العائذ بن ثعلبة من بني عبد القيس الأحسائي مدح عمرو بن بن هند والنعمان بن المنذر

[٣])الأمير الشاعر بن المقرب العيوني الأحسائي شاعر الدولة العيونية

[٤]) تماضر بنت عمر بن الشريد الخنساء الشاعرة المخضرمة المعروفة

قد ضاق صدري بأنَّاتي وحُرقتها فأيقظت زفراتي من به صمم

أسائِلُ الليلَ هل يصغي لمظلمتي أهَلْ يعودُ زمانٌ كلُّهُ نِعَمُ[١]

إن الموروث الأدبي هو مصدر من مصادر تناص الشاعرة ، لأن الشعر يمثل لها الارتباط بالتاريخ والموروث القديم الذي لا يمكن الاستغناء عنه بحال ،فمن ذلك التراث الأدبي نستقي الفن والإبداع وهو الكنز الذي لا ينفد والثروة التي تنقضي،فهو المنبع والمورد الذي يرده كل أديب متميز، وظل الشعر القديم والحديث على السواء منبعا لاعتدال الذكر الله لما يتمتع به هذا التراث العظيم من غنى وثراء وإمكانات فنية ، توظفه الشاعرة بما يخدم واقعها المعاش وتتخطى به حاجز الزمن ، ليعطي النص إيحاءات ودلالات تضفي على النص عبقرية لامعة تخدم الفكرة وتؤكد الارتباط بالتراث القديم .

ونرى هذا النوع من التناص من قول الشاعرة:-

فالأبيات تتناص مع قصيدة المتنبي المشهورة في عتاب سيف الدولة الحمداني والتي يقول فيها:

الليل والخيل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والأبيات مشهورة ومعروفة

[١])تراتيل الروح في زمن الغربة ٩

قفا نحْكِ عن بلوى سقيمٍ مكَلْكَلِ بِعِشْقِ الهوى بين النُحولِ ومُعْوَلِ

ودهرٍ كنقْعِ السُّمِ أهْدى نواله إلَيَّ بأرتلِ الشُّرورِ ليبتلي

فقلت له لمَّا تجلَّى بشَرِه وزاد بآهاتي جاء بجحفلِ

ألا أيها الدَّهرُ الثقيلُ ألا أتِيْ لِي بغيركَ ما الأغيارُ منكَ بأفضلِ

فيالك من دهر كأنَّ همومَه بِكُلِّ صُنُوفِ الظُّلْم شُدَّتْ بأحْبُلِ[١]

كما تتناص في قصيدتها (صحبتي مع امرئ القيس)مع معلقة امرئ القيس قفا نبك فتقول :

كما تتناص مع شعراء محدثين أيضا من ذلك قولها في قصيدة (حكاية غواية) :-

وانتهـــت تلـــك الحكايـــة واكتفيـــــنا بالغـــــوايه

قـــد أجـــدنا الـــدور دهـــرًا وتبـــــادلنا الوصـــــايه[٢]

[١]) تراتيل الروح في زمن الغربة ٨١

[٢])واستمطرتك عشقًا ٤٥

فالقصيدة تتناص مع قصيدة الشاعر (صالح جودت)([1]) التي يقول فيها:-

نـزل الســتار علــى الروايــة وتبــــدلت تلـــك الحكايـــه

طلـــع الصـــباح بنـــوره فرفعـــت للعصـــيان رايـــه

وهي قصيدة شهيرة وقد لحنها و غناها المطرب عبد اللطيف التلباني مما أكسبها شهرة واسعة .

حَيَّيـتُ شِـعْرَكَ يـا عَشْـقَ الملايـينِ يا بنَ الفرات ويا زَهـوَ السلاطين

يـا آيـةَ الفـنِ في إعجـازِ أحْرُفِنَـا قد صـاغكَ الله بـين الفـاءِ والنـونِ

أشْـعارُكَ الغـرُّ والإبـداعُ يطربُنِـي لـولا التَّبَغْـدُدُ مـا كانتْ لِتُرْوِينِـي

يـا بهجـة الشـعر يـا إيقـاع نغمتـه يـا بلسـمَ الجُـرحِ يـا أزهـارَ نسـرين

هدهدتَ طيفًا لِسُمَّارِ العراقِ هَوىً ببسمة الزَّهْرِ من عطر البساتين([2])

---

[1]) **صالح جودت**، شاعر مصري معاصر ولد في ١٢ ديسمبر عام ١٩١٢، القاهرة. وتوفى بها عام ١٩٧٦ عن أربعة وستين عاماً حافلة بالتغني في حب مصر والعالم العربي. صدرت عدة دواوين منها:ديوان صالح جودت (١٩٣٤)ألحان مصرية(١٩٦٨) اللـه و النيل و الحب (١٩٧٣

[2])واستمطرتك عشقا ١٢٣

وفي قصيدتها (زهو السلاطين) التي أنشدتها تحية لروح الشاعر العربي الكبير (محمد مهدي الجواهري) في ذكرى رحيله وتشير فيها إلى ما تركه الراحل للعربية من إعجاز شعري في قصيدة الشطرين الجديدة ،وهي إذ تحيّي عبقريته الشعرية لا تنفك سائلة عن ذلك الإدهاش الطربي الذي تحدثه إيقاعاته الشجية التي هي – على وفق قولها– جواهر الكلام أو غرر هيفاء تختال زهوًا كأنها أطياف ساحرة ([1]).

وحسنًا فعلت الشاعرة حين اتكأت على ظلال قصيدة الجواهري (يا دجلة الخير) ايقاعًا وقافية وكأنها أرادت بها أن تُحْيي فن المعارضات .

وقصيدة الجواهري أولها :–

حَيّيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحَيِّيني يا دجلةَ الخيرِ، يا أُمَّ البساتينِ

حييتُ سفحَك ظمآناً ألوذُ به لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطين

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أفارقُه على الكراهةِ بين الحِينِ والحين

إنِّي وردتُ عُيونَ الماءِ صافيةَ نَبْعاً فنبعاً فما كانت لتَرْويني

---

[1])بتصرف من مقال أ.د على رضا غنائية اعتدال الذكر الله (واستمطرتك عشقا) قراءة نقدية مركز النور

وعلى النهج تسير اعتدال وتنشد قصيدة تعد من المعارضات الشعرية الجيدة في عصرنا الحاضر حيث إنها تسير على ذات القافية والوزن وحتى النفس الشعري والمنهج الأدبي.

المبحث الخامس

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات التي ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة ، والتركيب ، والإيقاع ، والحقيقة ، والمجاز ، والترادف ، والتضاد ، والمقابلة، والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير الفني ... والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية (١).

والقصيدة التي تفتقد الصورة البديعة الرائعة يكتنفها الموت والظلام، ونجاح الصورة في قدرتها على تأدية مهمتها وهي نقل العاطفة والفكرة للمتلقي لأن " الكلام لا يكون فنا إلا إذا اتخذ الصورة وسيلة للتعبير عن التجربة وبواسطة الصورة يشكل الشاعر أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره (٢) .

---

[١] عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ص ٣٩ ط ٢ دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٨١

[٢] علي عشري زايد عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص ٩٨

والصورة وسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما بقلبه وعقله أولاً ، وإيصاله إلى غيره ثانياً (١) .

فأفكار الشاعر وعواطفه نبض جامدة لا قيمة لها ما لم تتبلور في صورة.

والصورة الشعرية مع غيرها من الأدوات الفنية الأخرى هي التي تشكل القصيدة ، أي ان الشاعر يعتمد على الكلمة أساساً في تصوير ما بداخله ، نظراً لارتباط الصورة الفنية في الشعر بالحالة النفسية للأديب والموقف الذي حرك العاطفة وأثارها .

---

[١] عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، جامعة بيروت ١٩٨٤ ص ١٨

الصورة البيانية

المجاز هو استخدام اللفظ في غير معناه الذي وضع له ، وإذا أدركنا أن الأصل في التعبير هو الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا إذا عجزت الحقيقة عن الوفاء بالمعنى أو قصرت في إبراز الشعور المراد توصيله إلى المتلقي ، وإذ أدركنا أيضاً أن الشعر تعبير عن انفعال الشاعر تجاه الواقع والحقيقة فهو لا يحرص على الأفكار ذات قدر حرصه على تباين موقفه ووجهة نظره من هذا أو تلك ، إذا أدركنا ذلك علمنا أن الشاعر يلجأ إلى المجاز بالضرورة ولا يمكن الاستغناء عنه ... لذلك كان موقف النقاد عند فحص المجاز في أيِّ نَصٍ يختلف عن موقف البلاغيين فيه فموقف البلاغيين للرصد والإحصاء وبيان النوع من استعارة وكناية وتشبيه ولا يزيدون أما النقاد فإنهم يتجاوزون ذلك إلى البحث عن الدافع الذي حدا بالشاعر إلى ترك الحقيقة إلى المجاز بل أكثر وهو لماذا اختار هذا التشبيه أو تلك الاستعارة وغيرها في هذا الموقف بالذات " (١) .

وفي ضوء ذلك نستعرض المجاز في شعر اعتدال الذكر الله لنتعرف على أبعاده ومدى براعتها في استخدامه للوفاء بمرادها .

---

[١] محاضرات في الشعر الحديث للدكتور عبداللاه محمود حسن موسى ص ٢٩

أ- التشبيه :

لجأت اعتدال الذكر الله إلى استخدم التشبيه بشكل متوازن فلم تفرط في استخدامه إلا إذا استدعاه الموقف ،وأكثر ما ظهر التشبيه لديها في القصائد الطوال وليس المقطعات ،وقد استوعبت تشبيهاتها الكثير من أنواع التشبيه وكانت أغراض التشبيه عندها متنوعة في مجال الطبيعة والمدح والغزل والوصف وغيرها .

استخدمت اعتدال الذكر الله أدوات تشبيه متنوعة منها (الكاف) وهو الأكثر استخدامًا ، وكأن ،وبدون أداة ،ومن استعمالها لأداة التشبيه (الكاف) قولها :-

ونلـــهو كطفلـــين بـــين المـــروج وبين الورود و فوق الجبـل(١)
الجبـــــــــــــــــــــل(١)

تصور لهوها مع من تحب حين التقيا بعد غياب طويل بلهو طفلين ،وما أجمل لهو الأطفال حين تجد البراءة لنفسها مكانًا ،وحين تخلو الأذهان من الهموم والقلوب من الأحقاد فلا شيء إلا السعادة تملأ القلوب وليس ذلك إلا في لهو طفلين بعيدا عن هموم الدنيا ومتاعبها .

ومن استعمال الكاف قولها :-

---

[١])وأينعت الأشواق ٢٧

غنـــت لنـــا لحـــنَ الهـــوى كانـــتْ كعـــذبِ السلســـبيل

قـــد ضـــاعَ عهـــدُ للـــوَفَى وغَـــدَا هوانَـــا كالـــدخيل (١)

وقولها :-

فيـــا صـــحْبًا دنـــو منِّـــي قليلًـــا ففـــي قلـــبي همـــومٌ كالســـَّحابِ

تلاشـــى زهـــرُ قلـــبي في صِـــبايا فيـــا وَيْحِـــي تلاشـــى كالضـــبابِ

وأحســـبُ أن يـــومي قـــد صَـــفا لِـــي فخَضَـــبَنِي همومًـــا كالخضـــاب(٢)

تطلب من صحبتها الدنو منها فلعلها تجد في قربهم تخفيفًا لهموم ملأت قلبها وتشبه الهموم بالسحاب دلالة على كثرتها وكبرها ، ثم تقول إن زهر قلبها وتقصد به السعادة قد تلاشي في صباها وتتحسر عليه وتذكر أن سعادتها لم تدم طويلا فقد تلاشت بسرعة كتلاشي الضباب حين تطلع عليه الشمس ، فشبهت سرعة ذهاب السعادة وتلاشيها بسرعة وتلاشي الضباب ،ونلحظ الرابط بين الظواهر الطبيعية السحاب والضباب وما لهما من حجم كبير وأثر بالغ ،كذلك همومها لها ذات الأثر، فقد خَضَبَتْهَا كما تَخضب الحناءُ البشرةَ فتترك آثارها عليها .

---

١) السابق ٢٨

٢)تراتيل الروح في زمن الغربة ٤٧

ومن تشبيهاتها بالكاف قولها:-

رنـــاد حلـــوة العيـــنين تزهـــو كنجم قد أضاء ومن سناها([1])

وقولها :-

قـــد ضـاع قلـبي عنـدما أحببتـه كالكنز ضاع بيومها في ديرتي([2])

وقولها :-

ويطيـب الليـل لـي خمـرًا ويزجـي دندنـــات العمـر كالزهـــر نـديًّا([3])

وقولها في وصف الفقراء :-

ســيبُ القداســة ظمآنًــا يلــوذ بهــم يحنو عليهم كصيب الغيث منهمر

قطـر الجبـاهِ ينـابيع يضـــوعها عطر الطهارة منسابًا كما النهر([4])

ومن استعمال (كأن) قولها :-

يتمـادى الظـالم المختـال جهـرًا يتنـاسـى الوعـد في يـوم الحسـاب

---

[1])وأينعت الأشواق ٢٩

[2])تراتيل الروح في زمن الغربة ٨٣

[3])واستمطرتك عشقا ٣٩

[4])السابق ٤٧

وكـــأن الخـــلدَ مـــا بيـــن يديـــه وحيـاة العزِّ ليستْ في ذهـاب (١)

هنا تصف حياة الظالم المستبد وكيف يفكر ،إنه يرى وكأنه يملك الخلد والأبدية والسرمدية ويتناسى عامدًا يوم الحساب ويتخيل أن حياة العزِّ باقية ولن تذهب ، لذا فهو يتصرف من هذا المنطلق الخّرِفِ فيتمادى في ظلمه وغيه ، فالتشبيه بكأن هنا أعطى المعنى ذلك التأكيد القوي الذي دفع بالظالم للتمادي في الغواية.

وقولها :-

قهـــر علـــى ذل علـــى حـــزن بهـــا حتـــى كـــأن الغـــم فيهـــا يغتـــنم(٢)

كما لجأت الشاعرة إلى التشبيه البليغ محذوف الوجه والأداة في العديد من صورها ، ومن ذلك قولها :-

طابـت ليـــاليـنا وطـــاب الهـــوى والحـــبُّ أنفـــاسٌ لنـــا ســـارية(٣)

فهي تصور الحبَّ بكل ما يمثله من أهمية للعاشقين بالأنفاس التي يتنفسها العاشقون فتدوم حياتهم وتسير الدماء في عروقهم .

وتشبه محبوبها بالضياء الذي يزهو عمرها به وتقول :-

---

[١]) وأينعت الأشواق ٤٧

[٢])تراتيل الروح في زمن الغربة ٦٩

[٣])واستمطرتك عشقا ١١

صِـــنوانُ إنَّـــكَ والضـــياءُ بِزَهْـــوِهِ أنتَ الضياءُ لِزَهْوِ عمري الأمثَـلِ([1])

ويمثل الضياء بزهوه لدى اعتدال صورة ذهنية حاضرة ترى فيه القدرة على إيصال الأفكار للمتلقين كما يكشف بنوره الظلمة عن الناظرين ، ولذا تستخدمه كمشبهًا به حين تصور ما يمثله الوطن لأبنائه أو ما يراه الأبناء في الوطن ....تقول :-

وطـنـي الضـياء المُشْـرَئِبُ جـلالةً في الخـافقين زَهَـا لنـا بتضـوعِ

وطـنـي الحـنينُ المسـتبدُ بلـوعةٍ قدسـيةِ الخفقـاتِ لـم تَتَـمَنَّعِ

وطني العدالةُ قد زَهَتْ بكمـالِها وجمـالِها المتنـاثِـرِ المُتَفَـرِّعِ

وطـنـي المجـرةُ شَأشَـأتْ أشـلاءَهَا جندًا لتُرْبِكَ في الجِهـاتِ الأرْبَـعِ([2])

هنا تصور الوطن بالضياء المرتفع شموخًا وجلالاً وراح يخفق زهواً وتألقًا وينشر ضوعه المعطر على الكون كله ، كما تصوره بالحنين المستبد بالقلوب بلوعة قدسية الخفقات ، وتصوره بالعدالة الزاهية بكمالها وجمالها المتناثر والمتفرع ،وتصوره بالمجرة التي انتشرت جنوده في أركان الكون لتربك الجهات الأربع ، فلا يخفى التشبيه البليغ في تشبيه الوطن بالضياء والحنين المستبد و العدالة والمجرة .

---

[1])السابق ١٣٠

[2])واستمطرتك عشقا ٥٧

ومن خلال ما سبق من النماذج التي طرحناها من التشبيهات نرى أن مجمل التشبيهات التي استخدمهتا الشاعرة تشبيهات مرسلة مجملة ، ذكرت فيها الأداة ، وحذفتس من بعضها ، وقد أعطى هذا لشعرها قوة و جمالية ، وفنية ، وبلاغة أكثر ،ويتطلب من المتلقي إعمال فكرة للوصول إلى وجه الشبه ، وقد استعملت الشاعرة مجموعة من الأدوات التي تبغي بها تحقيق هدفها من هذه التشبيهات ومنها أداة الكاف وكأن اللتان تكررتا سكثيرا في شعرها .

ب- الاستعارة:

تمثل الاستعارة عند اعتدال المحور الرئيس في الشعر ، فلا يكاد يخلو بيت من شعرها إلا وبه استعارة أو أكثر،وكأنها تقول لنا أن الشعر لا يكون شعرًا إلا بالاستعارة ،وقد أوغلت اعتدال ايغالا عظيما في التصوير بالاستعارة حتى ربما تجد زحامًا متراكمًا من الاستعارات في بيت واحد ترسم به شاعريتها الفذَّة وتقول متباهية : هذا هو الشعر لمن درى وتحقق .

وربما لو أردت أن أسرد نماذج للتصوير بالاستعارة لأعياني ذلك والسبب هو صعوبة الاختيار بين مئات النماذج الرائعة في هذا اللون ،ولذا سأنتقي بعضاً منها دون تدقيق ثم أسرد جزءًا من قصيدة لنرى كم الاستعارات المتراكمة والمتتالية في شعر اعتدال.

من استعاراتها الرائعة والجديدة كليًّا تصويرها للشمس وكأنها انسان يلوك أصابعه ...تقول :-

شَمْسُ الحقيقةِ قَدْ لَاكَتْ أصَابِعَهَا   مِنْ صُفْرِ أطْمَارِهِمْ فِي أرْذَلِ العُمُرِ[1]

تصور حال الفقراء حين ضبهم الفقر بنابه وطغى عليهم بيبابه فلم يشفق بهم صغارًا ولم يرحمهم كبارًا حتى الشمس الفقيرة مثلهم لاكت أصابعها أي قطعتها ومضغتها بأسنانها غيظا وهمًا لرؤيتها دلائل الفقر والعوز البادية آثارها على أطمارهم البالية فوق أجسادهم شبه العارية وهم في أواخر أعمارهم .

وتستخدم تلك الصورة في موضع آخر وتقول :-

لاكت شموس الحق سربال الدجى   وتشعشع الأمل الجميل المطلع [2]

تصور الشمس كمخلوق له فم يلوك به ،وتصور الدجى بشخص يرتدي سربالاً ، ثم صور الشمس وقد خلعت عن الدجى سرباله وراحت تلوكه بفمها فأكلت الشمس الظلمة و راح نورها - بعد هزيمة الليل- ينشر الأمل الذي تشعشع في مطلعه الجميل .

ومن الاستعارات الجميلة عند اعتدال قولها في قصيدة (مشقيتًّا)في وصف تلك المدينة الجميلة بسوريا :-

سَكَنَ الجمالُ بعينِكِ النجلاءِ   فبدا الكمالُ بحُلَّةِ الأضواءِ

---

[1])واستمطرتك عشقا ٤٨

[2]) السابق ٥٦

وتبسَّـــمَ الثَّغْـــرُ المـــورَّدُ لهفـــةً للحـــــبِّ للأشـــــواقِ والأنـــــداء

وجـهُ الطبيعـةِ ضـاحكٌ مستبشـرٌ يحكـــي الجمـــالَ بقصـــةِ العـــذراءِ

تِلْكَ التي مـا افْـتُضَّ بعـدُ جمالُهـا وتســـــربلتْ مجلـــــوَّةً بزهـــــاءِ

وزَهَـتْ محاسنُ روضِـها في قُبلـةٍ عُذْرِيَّـــــةٍ مشـــــبوبةٍ بيضـــــاءِ

والروعةُ الكُبرى تَجَلَّـتْ في الرُّبَـى عنـــــدَ المَغِيـــــبِ ولَوعـــــةِ الإغْفَـــاءِ

وتَداسةُ الصَّمتِ المُغيَّبِ فِي الـوَرى صَـــلَّتْ هُـــدىً في معبـــدِ الخُـــيلاءِ

الصـمتُ والوجـدُ المبعثـرُ حولهـا يختـالُ في زَهـوِ الصِّبا المُتَرَائِي([1])

فكما ترى فالقصيدة تتلاحم فيها الاستعارات وتتكاتف لتكون صورة رائعة لمدينة جميلة اسمها مشقيتا ، ولنعدد فقط مواطن الصورة مثل :

- سكن الجمال ،
- سكن بعينك النجلاء
- بدا الكمال بحلة الأضواء
- تبسم الثغر المورد باللهفة للحب والأشواق
- وجه الطبيعة ضاحك مستبشر

[1])واستمطرتك عشقا ١٩

- يحكي الجمال قصة العذراء
- افتض جمالها
- تسربلت مجلوة بزهاء
- زهت المحاسن روضها في قبلة عذرية
- الروعة الكبرى تجلت في الربى
- قداسة الصمت صلَّت في معبد الخيلاء
- الصمت والوجد المبعثر يختال في زهو

وعلى هذا النهج تسير اعتدال في شعرها مستعينة بالتصوير بالاستعارة في كل بيت تكتبه ، وربما تحتاج هذه الظاهرة وحدها دراسة مستقلة

ومن جميل أشعارها المزينة بالاستعارات المتلاحقة قولها في قصيدة (ضجيج) :-

ضجَّ الفؤاد بوجدِهِ المُتَمَرِدِ ... للشِّعر للحُبِّ الجميلِ الأمْيَدِ

وافتض صمت الوالهين بدمعةٍ ... منسابةٍ مِنْ خَدِّها المُتَوردِ

يا ساكن النيلِ الأغرِ تلطفًا ... حيثُ الفؤادُ قد اشتكي بِتَنَهُدِ

رحماك فالشعر الصدي معذبٌ ... للروح للقلبِ المُحِبِّ الأصيدِ

وصبابة لم يستقر بها الهوى ... فمشت إلى الأحباب مشيَ مقيَّدِ

في ليلة قد بات يسهرُ نجمُها ... سُهْدًا كمثلِ العاشقِ المتوقِّدِ

نسج الحبيبُ بها الكلامَ متيمًا فابيضَّ كلُّ ظلامُ ليلِ أسودِ

وسرى بها شعرُ الحبيبِ قصائدًا مشيَ البُروقِ إلى الظلالِ المرعِدِ([1])

كما ترى كل بيت يحمل شاعرية وعبقرية مفرطة ، فالشاعرة تنحت من جبال اللغة العتيقة وترسم بريشة فنان لوحة من العصور الوسطى ،وتصور بالاستعارة ما يمتع العقل ويسرح بالروح في آفاق جديدة ومبدعة ،والاستعارات بالجملة في الابيات هي:

- **ففي البيت الأول :ضج الفؤاد حيث جعلت الفؤاد شخصا يضج مما يلاقيه ،والوجد المتمرد صورة رائعة أخري .**
- **البيت الثاني افتض صمت الوالهين بدمعة**
- **الثالث الفؤاد يشتكي**
- **الرابع الشعر المعذب للروح والقلب**
- **الخامس الصبابة لا تستقر وإنما تمشي إلى الأحباب**
- **السادس النجم يسهر استعارة وشبهت النجم في سهره بسهر العاشق المتوقد.**
- **السابع الحبيب ينسج الكلام متيماً**
- **الثامن الشعر يسير ليلاً استعارة وبالبيت تشبيه سير القصائد بمشي البروق إلى الظلال .**

---

[1])واستمطرتك عشقا ٩٥

فلو تتبعنا كل شعرها لوجدنا هذا الوله والشبق بالاستعارة في كل نفس شعري عندها ويكفي أن تطالع أيَّ شعر لها فيظهر لك ذاك الهوس بالاستعارة بكل أشكالها .

المبحث السادس

الموسيقا

الشعر العربي شعر غنائي قائم على أصول موسيقية مضبوطة ، وقيم صوتية متكاملة ،وهي التي تميزه عن الكلام المعتاد ، وعن غيره من الفنون الأدبية .

والموسيقا هي : " إحدى الفنون الجميلة التي سماها العرب بالآداب الرفيعة ، وهي الرسم والنحت والشعر والموسيقا ، بل ربما هي أهم الفنون عامة ، فهي شقيقة الشعر والنثر والمسرح والرسم والتصوير والسينما والرقص وما إلى ذلك (١) .

وموسيقا الشعر أهم عناصر النص الأدبي الخاصة بالشعر فأبرز ما يميز الشعر عن غيره هو موسيقاه الشعرية التي تثير النفوس وتحرك العواطف والأحاسيس ، وتؤجج المشاعر ، فالشعر العربي صناعة موسيقية دقيقة .

ويعمل الشعر على إثارة الشعور ، وتحريك الوجدان ، أو بعث الإحساس بالجمال ، وفي سبيل ذلك يستخدم وسائل معنية في الصناعة ومن هذه الوسائل العنصر الموسيقي .

ولابد للشعر من موسيقا لأن الموسيقا من أبرز علامات الشعر ، وهي التي تميزه عن الكلام المعتاد ، وعن غيره من الفنون الأدبية ، وقوام هذا العنصر هو جوهره اللغة ، بها يستخرج الشاعر ما تعجز دلالة الألفاظ في ذاتها عن استخراجه من النفس البشرية كاللون العاطفي للفكرة ، أو ظلال

---

[١] عبد الحميد توفيق زكي : الموسيقا علم وفن ولغة ص ٨ بدون

المعاني التي تفجر الألفاظ في ذاتها عن التعبير عنها ، بينما يستطيع النغم أو على الأقل الإيماء به (١)

وهنا يقول د / محمد مندور :"الموسيقا الشعرية إحدى الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها بالإضافة إلى دلالة الألفاظ والتراكيب اللغوية" (٢) .

فالموسيقا في الشعر ليست وسيلة إطراب فحسب ، إنما هي طاقة تعبيرية تنقل أجواء القصيدة إلى المتلقي .

وظلال المعاني هي موحياتها وما تضيفه على المتلقي من حالات نفسية ، وبذلك تستطيع أن نقيم صياغة الشعر الموسيقية على أمرين هما الوزن والقافية من ناحية ، والإيقاع من ناحية أخرى .

١- الموسيقا الخارجية :

هي التي تقوم على الوزن والقافية ، وهما العاملان الأساسيان في بناء الموسيقا الخارجية للشعر ، ولم يعرف الشعر ناقد قديم إلا ذكر الوزن والقافية تمييزاً له عن النثر ومن الوزن والقافية نشأت وحدة النغمة والإيقاع.

أ-الوزن :

---

[١] العربي حسن درويش ، زكي مبارك شاعراً ، الهيئة العامة للكتاب ، ط سنة ١٩٨٦م ، ص ٢٤ .

[٢] محمد مندور ، الأدب وفنونه ، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ط سنة ١٩٦١ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

الوزن ركن من أركان الشعر ودعامة من دعائم الموسيقا ، فإن يكن الشعر أسرع تطوراً في موضوعاته ومعانية وأكثر مم في أشكاله ، إلا أن أوزان الشعر العربي أخذت في التطور منذ أواخر العصر الأموي متأثرة بموجات الغناء التي كانت تنداح في خضم الجانب اللاهي من الحياة في مكة والمدينة ، ومن ثم أمتد الأثر إلى الشعر في القرن الثاني والعصر العباسي عامة (١) .

والوزن مقيد بأبحر يصعب تغييرها أو التخلص منها ، ولذا يقول إبراهيم أنيس : " التجديد في الأوزان نادر وتطورها بطئ تمر عليها القرون والأجيال دون أن يصيبها ما يستدعى الانتباه ، أو يلفت النظر ، وذلك لأن ألفة الوزن وشيوعه في البيئة اللغوية يتطلب زمناً طويلاً وإنتاجا شعرياً كثيراً ، حتى يعتاد جمهور كبير من السامعين ويستسيغوا ما فيه من نغم وموسيقا .(٣)

وهذا يجعلنا نتساءل عن موقف اعتدال الذكر الله من الأوزان الشعرية هل استخدمت أوزان الخليل ولم تتجاوزها إلا بما يتفق وشخصيتها هي ؟ أم تمردت عليها في بعض الأحيان واتخذت من ألوان الشعر الجديدة طرقًا لعرض ابداعها عليها ؟ والإجابة عن السؤال تبرز في السطور التالية:

إن اعتدال بعصامية الواثق من نفسه قبلت التحدي في زمن قد يجعلها غريبة إلى حد مَّا باختيارها الشعر العمودي ،واتخذت من هذا الشعر عنوانًا يدلل على أصالتها ومدى تجذِّر ارتباطها بثقافتها وبأن التفكيكية التي باتت

---

[١] إبراهيم أنيس موسيقا الشعر مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٧٨ ص ١٨.

٢يوسف حسين بكار ، اتجاهات الغزل في القرن الثالث الهجري ، دار الأندلس ، ص ٣٣٠ .

تطال كلَّ شيء من حولنا لا يجب أن تجعلنا نُنَحِّي جانبًا أصولنا ..ليس نكرانًا منها للقصيدة الحديثة أو التفعيلة ،وإنما التزاما بتراث إن تفكك منه حجر سوف نصل إلى يوم ينهار بكليته فوق رؤوسنا

إذن الأمر بالنسبة إليها مبدأ .. برغم قدرتها على إنجاب أكثر من قصيدة بلون آخر،تفعيلة أو مرسل .. وخير دليل على هذا أنه تم اختيار بعض قصائدها لتكون ضمن كتب المنهاج التربوي في المملكة العربية السعودية وتكون أول شاعرة سعودية يدرج اسمها في منهاج يعد لتربية الأجيال القادمة وهذا يشكل محطة مهمة في حياتها ، قليلات من نلنه وبخاصة في عمرها الذي ما يزال يستعد للكثير من تحصيل الخبرات والمكتسبات في هذا المجال)([1])

يقول الدكتور علي الرضا :-

(ان الشاعرة السعودية الموهوبة اعتدال الذكر الله أثبتت في قصائدها أنها واحدة من فارسات الإبداع اللواتي يَعِدْنَ بالكثير ،وسيكون لمنجزها الجمالي شأن مهم في في قابل الأيام ،ومع أنها أصغر الشواعر اللواتي مثلن المملكة (رسميًّا) في مهرجانات الشعر خارج المملكة ،فإنها تكاد تكون الشاعرة الوحيدة التي تكتب قصيدة الشطرين والتفعيلة بين بنات جنسها السعوديات اللواتي يكتبن النصوص المفتوحة التي يطلق عليها قصيدة النثر ،ولا يخرجن عن

---

[1]) مقال للأستاذ علي دهيني

إطارها الشكلي ،كما في تجارب زينب غاضب وحليمة مظفر وهدى الدغثق)([1])

ويقول الشاعر والناقد محمود زكريا عبد الصمد في مقال له بعنوان "بين يدي ديوان واستمطرتك عشقا " :-

إن الشاعرة تتكئ في إنتاج جمالياتها على المستوى الصوتي المتفتق من الانتظام العروضي –الموسيقى الخارجية- والإيقاع المتفتق من الموسيقى الداخلية والقوافي المتواترة في أماكنها بغير تكلف خصوصًا وأن معظم قصائدها تمطتي الشكل أو المعمار البيتي –العمودي- شطران بينهما فاصلة لالتقاط النفس (٢):

أغـــرودة الآمـــال لا تهجعـــي إلا علـــى أجفـــانـــي الـــذاويه

فـــالروح ســـكرى والفـــؤاد بـــدا يشـــبرق الذكـــرى بأشـــجانيه

زوارق الأشـــواق فـــي زهوهـــا تشـــدو بأنغام الهـــوى ســـاهيه

لا الليـــل يهـــدأ لا الفـــؤاد ارتـــوى والنشـــوة الكبـــرى بـــدت طـــافيه

طـــابت ليـــالينا وطـــاب الهـــوى والحـــب انفـــاس لنـــا ســـاريـــه

---

[1])مقال الدكتور علي الرضا غنائية اعتدال

[2])مقال للأستاذ محمود زكريا عبد الصمد

نشـــتاق لـــثم الذكـــريات الـــتي كانت بأجفـــان المنى غافيه(١)

غير أنها تخرج من هذه الجغرافيا مستفيدة من حركة التجديد في الشعر إلى هذا المعمار الزجاجي الذي يعني بوحدة السطر الشعري وليس البيت ،وفيه مساحات لا حد لها من الحرية لتشكيل نصها مستفيدة من كل التقنيات الفنية التي يبيحها هذا التشكيل البصري الجديد دون أن تنسى أو تتناسى –كغيرها من أصحاب الحداثات – أن الشعر فن صوتي وليس فنًا بصريًا وإن احتوى على التصوير كأحد سماته الفنية ، اسمع لها وهي تنشد :-

وها عدنا

وعاد الليل

والسهد

وصمت الوجد

في الآفاق

ممتد

يفتق نبضنا العاتي

ويفتض المسافات

وأسراب الحمامات

تزخرف ليلنا الزاهي

---

١)واستمطرتك عشقا ١١

وترسم طيف أبياتي

هناك الورد والشهد

وحيث الوعد والعهد

تؤرخ ورد لقيانا

أزاهيرًا وريحانا

ويبقى القلب نشوانا

و ذكرى الحبِّ طافية

تعربد في المباهج

والمتارح إذ

بدا سعد (١)

لاحظنا مسافات القرب والبعد بين القوافي المتنوعة فهو تشكيل يعتمد وحدة الدفقة الشعورية والسطر الشعري طال أو قصر وعدم تعمد أو اصطناع القافية للضرورة الشعرية ، وإن كانت هذه القصيدة (عدنا) قد نظمت على بحر الهزج مفاعيلن وطاقاتها كمفاعلتن إلا أن هذا التشكيل قد أباح لشاعرتنا التنوع أو التداخل العروضي خلال القصيدة الواحدة .

إن اعتدال في دواوينها الثلاث الأولى (أغريد البلابل ، تراتيل الروح في زمن الغربة ،وأينعت الأشواق) لم تخرج مطلقا عن العمود الخليلي والتزمته

---

[١]), واستمطرتك عشقا ١٣

التزاما ،فلا تجد فيها قصيدة واحدة من الشعر الحر أو شعر التفعيلة ، بينما نجد ذلك في ديوانها الأخير –وهو يمثل قمة نتاجها الشعري فنيا– خروجًا واضحًا إلى ذلك اللون الجديد من الشعر وإن كان الأغلب الأعم هو التزام المعمارية الخليلية ، ولذا فقد أجريت إحصائية للأوزان الشعرية التي حفل بها ذلك الديوان .

- معظم قصائد الشطرين في الديوان جاءت على البحور الصافية ، وهذا دليل على اهتمام الشاعرة بالأوزان الغنائية الإنسيابية المنغَّمة، ولعل مردّ هذا الاهتمام إلى ارتياح نفسي في وعي الشاعرة ولا وعيها جعلها تكثر في استخدامها ، أما البحور المركبة فقد جاءت تالية من حيث الكم والتراتب ،وفيما يأتي ايجاز لتوزيعها .

- بحر الكامل

نظمت في الكامل ثمان قصائد هي (مشقيتا ،ورد الثقافة ،توق ،قبلة من لهب ،عشق هجري ،بوح ،ضجيج ،يوم بكل الزمان) وتلك بسملتها

١ -سكن الجمال بعينك النجلاء فبدا الكمال بحلة الأضواء

٢ -حمّم جياد الفكر أسرجها الخطى فالجدُّ جَدُّ اليوم يا هذا فعي

٣ -إنَّ الجمال تفتقت أزهاره وانساب زهو الحب في وجه حسن

٤ -يا قبلة طابت بطيب الملتقى كالشهد كالغيث المعطر إذ سقى

٥ -قد هاجت الأشواق مني فاعلمي إنِّي عشقتك ما عشقت سواك

٦ -جمـــال العمـــر غـــادرنـــي ووَدَّعـنـي إلـــى الأبـــد

٧ -ضـــجَّ الفـــؤاد بوجـــده المتمـــرد للشـــعر للحب الجميل الأميد

٨ -في عيـد مـيلاد الحبيـب تفتقـت أزهـــار روض فـؤادي المتبتل

• بحر الوافر

للشاعرة على هذا الوزن ست قصائد ،كانت واحدة منها على تشكيله التام وهي (قداس الأمل) والبقية على مجزوئيه الصحيح والمذيّل وهي(جميل الألحان ،عناق الذكريات ،الرسم إلهاما ،سكر الحب)

وافتتاحياتها هي :-

١ - إليـــك جميـــل أحـــاني ونـــبض فـــؤادي الحـــاني

٢ -تعـــال نعـــانق الـــذكرى ونحيـــا الحـــبَّ بالأشـــواق

٣ -ســـألت الله يجمعنـــا يبـــارك عمرنـــا النضـــرا

٤ -أنا والليل والنسمات تنعشني وهمس البحر بالنغمـات يطربني

٥ -إذا مـــا ضـــاقت الـــدنيا وتلـــق القلـــب للراحـــه

٦ -نســـائم حبنـــا الـــوردي تـــزين صـــبحنا الوضـــاء

• الرمل

نظمت اعتدال على بحر الرمل الصحيح و المجزوء أربع قصائد هي (عودة الحبيب – خربشات العشق – حكاية غوايه – كن جواري) وبداية القصائد هي :-

١ -عـادنـي والعـود أحمـد وغـدا الحـبُّ سيـدَّ[١]

٢ -خربشات العشق صغناها سويًّا ورسمناهـا احترافـات عشـيًّا [٢]

٣ -وانـتـهـتْ تلـك الحـكاية واكـتفينـا بالغـوايـة [٣]

٤ -يـا حبيـبـي كـن جـواري و اطفهـا بالـوصل نـاري[٤]

- البسيط :-

وفي بحر البسيط خاضت أمواجه بثلاث قصائد هي (أسياج الكبر – غياب – زهو السلاطين) ومستهلاتها:

١ -ساجٌ من النـور أساجٌ من الكِبَر تَرْمِيُهمُ حَنْقًا في حلة الشرر[٥]

---

[١])واستمطرتك عشقا ٣٥

[٢])السابق ٣٧

[٣]) السابق ٤٥

[٤]) السابق ٩٧

[٥]) السابق ٤٧

٢ -إنَّ الحبيبَ الذي قد زارنا ألفًا قد غاب عنَّا ولم يأبه لدنيانا(١)

٣ -حييت شعرك يا عشق الملايين يا ابن الفرات ويا زهو السلاطين(٢)

- المتقارب

ونظمت اعتدال على بحر المتقارب الصحيح قصيدتين اثنتين هما (التياع في مسيل الدمع – هدد العرب) وقد افتتحتهما بقولها :-

١ -مَجَبْبُ اشتياقي ،لفظت الهوى وطببتُ قبلي بدمع النوى(٣)

٢ -مباسم صنعا ونجوى عدن نَحِنُّ إليك وكلَّ اليمن (٤)

- السريع

وعلى السريع نظمت قصيدتين أيضًا هما (نشوة الاشتياق – واجتياح شوق) كانت الأولى على تشكيله الصحيح والثانية على الصحيح المذال ومطالعهما:

١ -أغرودة الأمل لا تهجعي إلا على أجفانيَ الذاويه(١)

---

١)السابق ٩٣

٢) السابق ١٢٣

٣) واستمطرتك عشقا ٥١

٤) السابق ٧١

٢ -يجتاحني الشوق بليل النوى والقلب حرَّان وخطبي مريع([٢])

- المتدارك

وفي المتدارك المضمر – وهو ما كانت عروضه مخبونة وضربه مخبونًا مضمرًا "فعْلن" – نظمت قصيدة واحدة هي دغدغة الأحلام ومطلعها :

يا صوتًا عذَّبني شوقًا أنساني جملة أصحابي([٣])

أما قصائد الشاعرة في الشعر التفعيلي ، فإنَّ أربعًا منها كانت على الوافر بتشكيله الصحيح والمجزوء،وهي (عدنا – رحلة في مدينة غازي القصيبي – زهو السلاطين – في تصويرر الروح جاثمة)

كما كانت هناك قصيدتان على بحر الرمل هما (ذكرتْني – احتراق في بوتقة العشق)

بينما نظمت قصيدة واحدة من المتدارك المضمر هي (هذيان)

وواحدة تداخلت فيها أكثر من تفعيلة هي (في مهب الذكريات) فقد تداخلت فيها تفعيلات : الكامل والرجز والرمل وغيرها .

---

[١]) السابق ١١

[٢])السابق ١١٥

[٣]) السابق ١٠١

الخاتمة

من خلال تلك التطوافة في الحدائق الوارقة بشعر (اعتدال الذكر الله) نستطيع أن نلخص أهم نتائج البحث فيما يلي :-

أولاً : أن اعتدال تعد من أهم الشاعرات السعوديات المعاصرات ومن أفضلهن فنيًا ، وذاك لما تتمتع به من شاعرية قوية وموهبة كبيرة ، وثقافة لغوية وأدبية متميزة .

ثانيًا : تعد من أهم بنات جيلها على المستوى الدولي من حيث الانتشار والشهرة والمشاركة في العديد من المحافل الدولية ،كما أنها أنتجت أربعة دواوين ولا يزال العمر أمامها لاضافة المزيد فلا تزال اعتدال في منصف العمر .

ثالثًا : شعرها يبلغ من القوة والشاعرية ما يماثل شعر كبار الشعراء في تاريخنا الأدبي حيث عارضت وتناصت مع العديد من النماذج الشعرية لكبار الشعراء وأجادت بشكل لافت .

رابعًا : جاءت لغتها الشعرية راقية وجذلة ،ولها قاموسها اللغوي الخاص ومفرداتها المتميزة .

رابعًا : استطاعت الشاعرة توظيف قاموسها اللغوي توظيفا يلائم المناخ النفسي لها كما وظفت التعبيرات الشعرية التي تترجم مشاعرها وأحاسيسها ، واستخدمت الثنائيات الضدية استخداما دقيقا أماط اللثام وكشف النقاب عن المناخ النفسي للشاعرة .

خامسًا : مما يحمد للشاعرة أنها أحسنت استخدام الاستعارة والتشبيه والكناية استخداما دقيقا أسهم في الكشف عن مكنونات نفسها ، كما اتسمت الصورة الشعرية عندها بأنها صورة محلقة حيث تتخير الألفاظ والتعبيرات التي تثري تجربتها الشعرية

سادسًا : اتسمت قصائد الشاعرة اعتدال الذكر الله بسمة فنية وهي تحقيق الوحدة العضوية في معمارها الفني ، وانطلقت تلك القصائد من منظور نفسي مميز حيث يسيطر الحزن على الشاعرة في معظم شعرها وذلك بسبب فقد من تحب ،كما يسيطر البوح الشعري على معظم ديوانها واستمطرتك عشقا، كما اتسمت معظم قصائدها بالسلاسة والسهولة والجزالة والبعد عن الإغراق في التعمية والإبهام .

سابعًا : الصوت الانثوي في شعرها رائق رائع وظاهر جلي ، حيث عبرت عن الأنثى في أغلب أحوالها وخاصة حالات الحزن والهم والضيق ، ثم حالات الحب والنشوة والسعادة بالحب ،وأرى أن هاتين الحالتين هما أهم ما يمكن أن يمثل الأنثى ، فهي بين فرح وحزن ،أو بين شقاء وسعادة ، أو بين لقاء وفراق .

ثامنًا : كتبت اعتدال على معظم البحور الشعرية مما يدل على قدرتها الشعرية وموهبتها الأصيلة

أهم المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم

٢- إبراهيم أنيس . موسيقا الشعر ط مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٨

٣- أحمد أبو حاقة الالتزام في الشعر العربي دار العلمين بيروت ١٩٧٩

٤- أحمد عبد المجيد خليفة . ديوان محمد الأبنودي ٢٠٠١

٥- أحمد الشايب أصول النقد الأدبي مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤

٦- أحمد كمال زكي النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١

٧- أحمد محمد الأعرج دراسة النقد الأدبي بدون

٨- اعتدال الذكر الله ديوان أغاريد البلابل

٩- اعتدال الذكر الله وأينعت الأشواق

١٠- اعتدال الذكر الله تراتيل الروح في زمن الغربة

١١- اعتدال الذكر الله واستمطرتك عشقا

١٢- ربايعة موسى التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية

١٣- السعيد الورقي لغة الشعر العربي الحديث اتجاهاتها الفنية وطاقاتها الإبداعية

١٤- شكري عياد موسيقا الشعر دار المعرفة ط٢ ١٩٧٨

١٥- طه حسين وآخرون التوجه الأدبي دار مصر ١٩٧٧

١٦- عبد الحميد توفيق زكي الموسيقا علم وفن ولغة بدون

١٧- عبد الرضا علي الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب بحث مقدم إلى مهرجان البد العاشر ١٩٨٩

١٨- عبد القادر القط الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر دار النهضة العربة بيروت ١٩٨١

١٩- أبو هلال العسكري الصناعتين تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ط ١٩٥٢

٢٠- عبد اللاه محمود حسن الظاهرة الأدبية في شعر الخوارج مطبعة الأمانة ١٩٨٨

٢١- عبد المطلب قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث الهيئة العامة للكتاب ١٩٤٧

٢٢- العربي حسين درويش زكي مبارك شاعرا الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦

٢٣- عز الدين إسماعيل الشعر الغربي المعاصر ظواهره وقضاياه الفنية دار الفكر العربي ١٩٧٨

٢٤- عشري زايد بناء القصيدة العربية الحديثة بدون

٢٥- عصام شريح الخصائص الأسلوبية في شعر بدوي الجبل منشورات اتحاد الكتاب ٢٠٠٥

٢٦- علي عزت اللغة والدلالة في الشعر الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦

٢٧- ألعوضي الوكيل الشعر بين الجمود والتطور بدون

٢٨- محمد إبراهيم ألجيوشي محرم شاعر العروبة والإسلام ط دار العروبة ١٩٦١

٢٩- محمد الحبيب خوجة البلغاء وسراج الأدباء ط ١٩٦٦

٣٠- محمد عبد المطلب عن ظاهرة التناص قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني لونجمان ١٩٩٥

٣١- محمد فكري الجزار لسانيات الاختلاف الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٥

٣٢- محمد مندور الأدب وفنونه نهضة مصر بالقاهرة ١٩٦١

٣٣- محمد مفتاح الخطاب الشعري إستراتيجية التناص المركز الثقافي العربي ط٣ ١٩٩٢

٣٤- يمنى العيد في القول الشعري دار توبقال للنشر ١٩٨٧

٣٥- يوسف حسن بكار اتجاهات الغزل في القرن الثالث الهجري دار الأندلس

محتويات البحث

المقدمة

الباب الأول الدراسة الموضوعية : ويشتمل على

(أ) الفصل الأول: التعريف بالشاعرة

(ب)- الفصل الثاني (الأصوات التقليدية) صوت الأم تمثل صوت الابنة صوت (الأنا الحزين

(ج)- الفصل الثالث :الأصوات غير التقليدية (البوح الشعري)

١- صوت الحبيبة

٢- صوت البوح الشعري

الباب الثاني الدراسة الفنية : ويشتمل على عدة مباحث :-

١- اللغة

٢- الثنائيات

٣- الضدية

٤- التكرار ووظيفته الشعرية

٥- التناص

٦- الصورة الشعرية

٧- الموسيقا

٨- ثم خاتمة بها أهم النتائج والأجوبة على الأسئلة المطروحة

٩- قائمة بأهم المصادر والمراجع

١٠- محتويات البحث